

السلفية بين الجحود وبين الجمود

المؤلف

الهادي بريك



السلفية بين الجحود وبين الجمود

المؤلف

الهادي بريك



الطبعة الخامسة - أوت 2015

ر.د.م.ك: 6 - 156 - 14 - 9938 - 978 ISBN:

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©



الكتاب الإلكتروني

سلسلة كتب الكترونية توزع مجاناً عبر البريد الإلكتروني وصفحات التواصل الاجتماعي



مدير السلسلة

فيصل العش

faycalelleuch@gmail.com

الأفكار والمواقف الواردة في هذا الكتاب لا يتحمل مسؤوليتها إلا صاحبها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مَا اسْتَكْبَرْتُ وَمَا تَوَفَّقِي إِلَّا اللَّهُ



الإهداء

إلى كلّ من يهتمّه أمر المسلمين
إلى كلّ من يتساءل عن أسباب تخلفنا
إلى كلّ يبحث عن مخرج لأزمة الأمة الإسلاميّة
أهدي هذا البحث البسيط راجياً من المولى
عز وجل أن يجد القبول والنجاح



الفهرس

6 الفهرس
7 المقدمة
10 تحريرات لفضية وإصطلاحية
16 السلفية نشأة وتطورا
22 السلفية الإسلامية
24 سلفية بني قريظة سلفية إسلامية مقبولة مفهوم
27 أول بدايات إنحرافات السلفية
29 الخواارج أول من أسس للسلفية الإسلامية المنحرفة
32 سلفيات متنوعة داخل الدثار الإسلامي نفسه
36 السلفية بين الدين والتاريخ والواقع
42 قراءة نقدية للمركبات والمكونات الفكرية للسلفية
42 - قراءة نقدية لمركبات السلفية
42 * الأحادية التصورية
42 * التجريدية النظرية
43 - قراءة نقدية للمكونات الفكرية للسلفية
43 * الموضوعية والتجزئية
44 * إهمال الإسلام الدنيوي
44 * السطحية الفكرية
45 * التقليد والإتباع فيما لا يجوز فيه الإتباع
47 * ثقل الشعور بالمحنة والحركة على ذلك الأساس
48 * عدم إعتبار الراي العام والسلطة الشعبية و خلط في الحاكمية والشرعية والمشروعية
52 السنة النبوية تتكفل بعرض السلفية وبمعالجتها
55 الكشف عن قوانينها الفكرية
55 * نبذ السؤال
56 * نبذ التعلييل
57 * نبذ التحديات العقدية المعاصرة
58 * نبذ التعدد وخاصة الصوفية
60 خلاصات عامة مركزة



العقل البصير
يفكك الظواهر
الإجتماعية
المركبة بسبب
تعددية أبعادها،
فإذا فقه تلك
المركبات مركبة
مركبة عمد
إلى إعادة تأليفها
بعضها إلى بعض.
أما العقل الأعشى
فهو العقل الذي
يلتقط بعدا واحدا
أو بعدين أو أكثر
من ذلك أو أقل ثم
يطير به ظاناً
أنه ظفر بالحق وما
ظفر بالحق ولكن
طيشه أرداه.



مقدمة

السلفية موضوع شغل الناس كثيرا في الغابر وفي الحاضر. مبعث الشغل فيه أنه موضوع مركب أي متعدد الأبعاد من حيث الجهات التي تساهم في تكوينه وبروزه. كثيرة هي المواضيع المركبة متعددة الأبعاد ومن ذا تحتاج تلك المواضيع إلى عقل رشيد حصيف لا يفكر فحسب ولكنه يعرف كيف يفكر وليس ذاك العقل سوى العقل المركب الذي يقلب الأمر على جوانبه كلها قدر الإمكان فلا يتعجل بالحكم على أي شيء. وقديما قال المناطقة بحق: «الحكم على الشيء فرع عن تصوره». كما قال الاجتماعيون: «من جهل شيئا عاداه». وقالوا: «فاقد الشيء لا يعطيه». أروع مثال لتعامل كثير من الناس مع المواضيع المركبة متعددة الأبعاد هو مثل زمرة من العميان إلتقوا فيلا فظن كل واحد منهم أن الفيل هو الموضع الذي حط عليه يده. إنما الفيل في حقيقة الأمر هو إعادة تركيب تلك الأجزاء التي وقعت عليها أيدي العميان. العقل البصير يفكك الظواهر الإجتماعية المركبة بسبب تعددية أبعادها، فإذا فقه تلك المركبات مركبة عمد إلى إعادة تأليفها بعضها إلى بعض. أما العقل الأعشى فهو العقل الذي يلتقط بعدا واحدا أو بعدين أو أكثر من ذلك أو أقل ثم يطير به ظاناً أنه ظفر بالحق وما ظفر بالحق ولكن طيشه أرداه.

السلفية ظاهرة إجتماعية قديمة قدم البشرية جمعاء قاطبة وليس قدم الإسلام فحسب. السلفية ظاهرة إجتماعية لا يند عنها دين سماوي.

سنتعرض في هذه الوثيقة عن السلفية، إلى كيفية إنزلاق بعض أهل الديانات السماوية إلى السلفية. بل لا تند عن السلفية حضارات غابرة وحاضرة وثقافات. السلفية بكلمة ليست ظاهرة إجتماعية خاصة بالدين - أي دين من الأديان الثلاثة المنزلة - كما أن السلفية في كثير من الأحيان هي سلفيات متعارضة في الاتجاه والموقف تعارضا شديدا جدا حتى عندما تكون مستندة إلى دين واحد من مثل الإسلام. لذلك تكون السلفية منهجا في التفكير. ولا يقضي باحث من ذلك أربا حتى يدرس السلفية - أي سلفية دينية أو فلسفية - على أنها ظاهرة إجتماعية من جانب ومن جانب آخر على أنها منهج في التفكير. ولا حاجة لنا في القول أنها منهج في التغيير بسبب أن التغيير هو الولد الشرعي الصلب من التفكير.

السلفية ظاهرة إجتماعية مركبة متعددة الأبعاد ومن تلك الأبعاد المكونة لها بالضرورة : الدين والتاريخ والواقع. تلك هي أبرز الأبعاد المكونة للسلفية ولكن ليست كل الأبعاد. أشد السلفيات تركيبا وتعددا - وربما تأبيا عن التشريح أيضا - هي السلفية الدينية وذلك بسبب أن البعد الديني في كل سلفية هو البعد المؤسس ثم تأتي الأبعاد المؤججة من مثل التاريخ والواقع. ولذلك فإنه لا بد من الإلحاح مرة أخرى على أن دراسة هذه الظاهرة الإجتماعية المركبة متعددة الأبعاد لا يسلس قيادها إلا لمحيط بتلك الأبعاد الثلاثة الكبرى المؤسسة والمؤججة للسلفية أي : الدين والتاريخ والواقع. لا تكفي الإحاطة ببعد واحد منها ولا حتى ببعدين إثنين منها. لذلك يغدو البحث في مثل تلك الظواهر الإجتماعية المركبة عملا شاقا ومغامرة فكرية لا يقدم عليها إلا ناشد الحق فعلا. أما من لا يريد من بحثه سوى جني ثمرات رخيصة من خلال نزهة قصيرة ليكتب إسمه على قائمة الباحثين أو ليثار من خصم فكري أو سياسي .. ذاك حسبه الذي جنى.

سيحاول هذا الكتاب البسيط تأليف خلاصات مركزة وحصائل مكثفة في موضوع السلفية سيما الدينية منها وتحديد السلفية الإسلامية وبخاصة المعاصرة منها. ينطلق الكتاب من خلاصة بدهية مفادها أن السلفية



السلفية بكلمة
ليست ظاهرة
إجتماعية خاصة
بالدين - أي دين
من الأديان الثلاثة
المنزلة - كما أن
السلفية في كثير
من الأحيان هي
سلفيات متعارضة
في الاتجاه والموقف
تعارضا شديدا
جدا حتى عندما
تكون مستندة
إلى دين واحد
من مثل الإسلام.





السلفية ظاهرة
اجتماعية
مركبة متعددة
الأبعاد ومن تلك
الأبعاد المكونة
لها بالضرورة:
الدين والتاريخ
والواقع. وأشد
السلفيات تركيبا
وتعددا هي
السلفية الدينية
وذلك بسبب
أن البعد الديني
في كل سلفية
هو البعد المؤسس
ثم تأتي الأبعاد
المؤججة من مثل
التاريخ والواقع.



الإسلامية المعاصرة ظاهرة إجتماعية دينية لا تُجدد أي لا يجحد وجودها ولا يجحد تأثيرها ولا يجحد ما لها من فضل إذ الجحود مطلقا مظنة هوى أو جهل. كما ينطلق الكتاب من بدهية أخرى مقابلة مفادها أن السلفية الإسلامية المعاصرة ظاهرة إجتماعية دينية أكبر عيبها أنها التزمت الجمود كثيرا وفي الأعم الأغلب. جمود في الفهم والفهم هو أبو الفعل قطعاً. جمود على الماضي وقالاته وإجتهاداته. جمود في غير مواضع الجمود المحمودة. ولذلك كان عنوان هذا الكتاب المتواضع: «السلفية بين الجحود وبين الجمود». كان ذلك كذلك في محاولة لالتزام الوسطية والعدل بين العاملين على إلغاء السلفية جملة وتفصيلا وبين العاملين على تجميدها. أن تتحدث وتتجدد في المواضع التي لا يحسن فيها سوى الإجتهد. كلاهما لا يعرف كيف يفكر حتى لو كان كلاهما يسير في الاتجاه المعاكس للآخر وليس التّضاد دوما دليل تضاد ولا المغايرة أمانة مغايرة.





يتَّحد المعنى
(أي معنى السلفية)
بالكلية ويجتمع
على معاني الماضي
المنقضي. ورد هذا
الجزء اللغوي في
قوله: «كُلُوا
وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا
أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ
الْخَالِيَةِ» وورد في
الحديث بمعنى
الجيل السابق
كما ورد فيه
بمعنى الإقراض.
السلفية هي إذن
ما مضى وانقضى
وتقدّم في حركة
التاريخ الماضية.



تحريرات لفظية وإصطلاحية

السلفية مصدر صناعي من السلف. والسلف مصدر من فعل سلف
يسلف وهو يعني مضى وانقضى. ولذلك تسمى القصة سالفه بسبب أنها
إخبار عن شيء مضى وانقضى. ويسمى الجيل السابق سلفاً لأنه يسلف
الجيل اللاحق إذ لكلّ جيل سلف وخلف وما من سلف إلا وله خلف وما من
خلف إلا وله سلف إلا استثناءات صغيرة لا مجال لإحصائها هنا. ومنه
فعل أسلف يسلف إسلافاً أي أقرض وسمي الإقراض إسلافاً بسبب أن
الحديث من بعد الإقراض يعدّ حديثاً عن أمر مضى وانقضى. وبذلك يكاد
يتَّحد المعنى (أي معنى السلفية) بالكلية ويجتمع على معاني الماضي
المنقضي. ورد هذا الجزء اللغوي في قوله: «كُلُوا وَأَشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ
فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ»⁽¹⁾ وورد في الحديث بمعنى الجيل السابق كما ورد فيه
بمعنى الإقراض. السلفية هي إذن ما مضى وانقضى وتقدّم في حركة
التاريخ الماضية.

أمّا إصطلاحياً فإنّ السلفية مفردة مركّبة من جهة وحديثة من جهة
أخرى سيّما بصيغتها هذه أي السلفية. كان المصطلح يستخدم بصيغة

[1] سورة الحاقة - الآية 69

السَّلَفُ أي السَّلَفُ الصَّالِح الذين عناهم حديث صحيح للنَّبِيِّ عليه الصلاة والسلام : «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»⁽²⁾ . والقرن هو الجيل وليس كما يتوهم بعض الشُّباب المتدين حديثا اليوم أنَّه مائة عام أو أقلّ من ذلك أو أكثر.

نشأ مصطلح السَّلَفِيَّة في الأغلب عند ظهور علم الكلام وذلك عندما أرادت بعض المدارس الكلامية أن تتمترس وراء شرعية دينية محصنة فكان اشتقاق كلمة : السَّلَف الصالح. ومنذ ذلك اليوم يعني السَّلَف الصالح في الأمة شيئا مفاده مجموعة من الأجيال التي التزمت إتباع سنّة محمد عليه الصلاة والسلام. والمفهوم من ذلك أنَّ هناك أجيالا أخرى أو مذاهب أخرى لم تكن وفية لذلك الالتزام. ولكنَّ المؤكّد أن كلمة السَّلَف الصالح - ولا حتى كلمة السَّلَف نفسها - لم تكن مستخدمة لا من لدن الصّحابة الكرام ولا من لدن الخلافة الرّاشدة ولا حتّى في بدايات العهد الأموي إلّا استخدامات أدبية أو استخدامات قليلة جدّا لا تعبّر عن اتجاه عام.

وكلّما نشبت المعركة الفكرية والكلامية بين مختلف المدارس والمذاهب في التّاريخ الإسلامي راج هذا المصطلح متأخّر النّشأة. ولذلك تكاد تجمع الأدبيّات الكلامية والفقهية وغيرها اليوم على أنَّ مذهب الإمام أحمد يمثّل السَّلَفية الفقهية بسبب عدم ميله كثيرا إلى الإجتهد بمثل ما يفعل الإمامان مالك وأبو حنيفة إذ يقوم مذهب الأول على الإستصلاح من بعد إستخدام المصادر الأربعة الأولى المعروفة (القرآن والسنة والإجماع والقياس) ويقوم الثاني على الإستحسان. أما في الحقل الفكري فإن السَّلَفية كانت تنسب إلى باعثي النّهضة الإسلامية المعاصرة من مثل رشيد رضا ومحمد عبده والأفغاني وحسن البنا وغيرهم ممّن عاصروهم أو جاء من بعدهم

[2] ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ، فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال : ثم يتخلّف من بعدهم خلْفٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه ويمينه شهادته»



نشأ مصطلح
السلفيّة في
الأغلب عند ظهور
علم الكلام وذلك
عندما أرادت بعض
المدارس الكلامية
أن تتمترس وراء
شرعية دينية
محصنة فكان
اشتقاق كلمة:
السلف الصالح.
ومنذ ذلك اليوم
يعني السلف
الصالح في الأمة
شيئا مفاده
مجموعة من
الأجيال التي التزمت
إتباع سنّة محمد
عليه الصلاة
والسلام.



أو من قبلهم من المقاومين الذين قارعوا الإحتلال من مثل السنوسي في ليبيا والمهدي في السودان. ويمكن لنا أن نقول بكثير من الإطمئنان إلى أن السلفية - بحسب ما يروج في الأدبيات وليس بحسب الحقيقة - مرّت بثلاثة أطوار أو عرفت ثلاث مراحل : أولها مرحلة علم الكلام نسبة إلى ابن حنبل بسبب تصنيفه أنّه لم ينخرط في علم الكلام، والمقصود من ذلك أنّ علم الكلام شيء دخيل على الإسلام ولذلك اعتزله الإمام. ولا يعنينا هنا أنّ موقف الإمام ابن حنبل في تلك القضية - أي خلق القرآن - لم يكن موقفا عقدياً كلامياً فحسب، بل هو موقف سياسي مبطن لا يخفى، وقوامه معارضة المعتزلة الذين يتدثّر بهم العباسيون. وثانيهما مرحلة الإصلاح النهضوي المعاصر التي بدأت قبل زهاء ثلاثة قرون طورا في صورة مقاومة للإحتلال وطورا في صورة إجتهدات صحويّة جديدة تنشد استئناف الحياة الإسلامية. وثالثهما مرحلة ما بعد سقوط الخلافة العثمانية وهي مرحلة انتقلت فيها السلفية من انتظام إلى آخر إذ بدأت السلفية مع جماعة الإخوان المسلمين ومن في عباؤها أو على شاكلتها الفكرية ثم انتقلت إلى الجماعات الإسلامية الجديدة الناشئة من بعد ذلك من مثل التنظيمات الجهادية والمقاتلة وغيرها من الجماعات التي نشأت في مقابل ذلك أي لتزكية بعض النظم السياسية القائمة في الخليج العربي.

وبذلك ظلّت السلفية الأولى موقفا شبيها جدّا باليسار السياسي أو الفكري وتمثل ذلك بمناسبة رفض علم الكلام إمّا لكونه دخيلا على الإسلام أو لكونه يبدّل التنزيه العقدي الذي يرفض التشبيه والتّجسيم والتّمثيل والتّأويل وغير ذلك. كما ظلّت السلفية في العموم موقفا قريبا من اليسار بسبب تبنيها لمشروع إصلاح نهضوي ولكن على أساس الإسلام الجامع وليس على أساس الاقتباس الذي لا يستبعد العلمنة. وفي العصر الحديث ظلّت السلفية موقفا قريبا من اليسار لأسباب كثيرة منها رفض خطّة الحركة الإسلامية الأولى (الإخوان ومن تبعهم) لقوامها على إصلاحات واقعية مركّبة لا تنفي الاقتباس من الآخر مطلقا ومنها كذلك إعلان الجهاد ضدّ العدو الصهيوني وضدّ الحكام العرب الذين لا يقاومونه سواء بسواء.

ذلك هو الخطّ العام للسّلفية في مراحلها الثلاث أي خط (التيسّر)
بالتعبير السّياسي المعاصر والمقتبس. يسار معارض طورا لعلم الكلام
وطورا لمشروع إصلاحى لا يعتمد المرجعيّة الإسلاميّة بالكامل أو يعتمدها
منقوصة وطورا لكسب حركة إسلامية تقوم هي الأخرى على الاقتباس
والتركيب والعمل البطيء.



الخطّ العام
للسّلفيّة
في مراحلها الثلاث
أي خط (التيسّر)
بالتعبير السّياسي
المعاصر والمقتبس.
يسار معارض طورا
لعلم الكلام وطورا
لمشروع إصلاحى لا
يعتمد المرجعيّة
الإسلاميّة
بالكامل
أو يعتمدها
منقوصة وطورا
لكسب حركة
إسلاميّة تقوم
هي الأخرى
على الاقتباس
والتركيب والعمل
البطيء.



كما لا يفوتني في هذه المقدّمة أن أشير إلى ما يتلبس بهذا المصطلح من
قيم متعارضة بالتّمام والكمال وذلك عندما تطلق السّلفية على بعض
الأعمال. ذلك التّلبس الذي يقع فيه المصطلح بمثل ما يقع فيه النّاس
هو صفة أخرى من صفات السّلفية. العمل الأول صاحبه العلّامة الكبير
والمجتهد المطلق «أحمد ابن تيمية الحراني» أحد أتباع المذهب الحنبلي ولكنّه
ضارع الاجتهاد المطلق ومات في سجنه بسبب اجتهاده الفقهي وليس لأي
سبب آخر. هذا الرّجل لا يُذكر إلّا مقرونا بلقب السّلفي والذين يفعلون
بكسبه كذلك يدركون جيّدا أن الرّجل مجتهد مطلق خالف الإجماع - أي ما
ينسب إلى الإجماع ومنه إجماع الأربعة وغيرهم في قضايا كثيرة منها على
سبيل الذكر لا الحصر الطّلاق بالثلاث - فلم ينسبونه إلى السّلفية إذن؟ هنا
محطّة مهمّة جدّا من محطات حسن فقه السّلفية كما كانت من قبلنا
وليس كما انتهت إلينا. العمل الثاني صاحبه مشهور جدّا وهو الشّيخ
«محمد ابن عبد الوهاب» شريك الأسرة السّعودية في تأسيس المملكة
العربية السّعودية. بدأ عمله بالثّورة على مظاهر الشّرك في شبه الجزيرة -
وكثير من تلك المظاهر لا تتعدّى أن تكون ذرائع إلى الشّرك أو أمارات عليه -
ويبدو أنّه استخدم شيئا من القوّة إلى جانب الحجّة القوليّة بطبيعة الحال
ثم آل به المأل إلى أداء دور سياسي بارز بسبب التّوازنات الدّولية في تلك
الأيام. لا ينفك عمل هذا الرّجل كذلك عن السّلفية ولكن الفرق بين العاملين
- أي بين عمل ابن تيمية وعمل ابن عبد الوهاب - فرق شاسع جدّا. الأول
مجتهد مطلق بالتقدير الأصولي الفقهي الإسلامي المعروف والثاني أقصى
ما يقال عنه أنه مصلح - أي داعية - في حقل واحد من حقول الإصلاح ولا
علاقة للرّجل وكسبه لا بالاجتهاد ولا بالتجديد أو التحديث. كلاهما يصنف

سلفياً. لا ريب في أن السلفتين تشتركان في شيء أولي هو محاربة البدع سيّما في الحقل التوحيدي العقدي إذ - ربما - نسبت السلفية إلى ابن تيمية بسبب حربه الضروس ضد المتكلمين من مثل الجهميّة وغيرهم ممن تورّطوا في القدر نفيا له أو نفيا لكسب الإنسان معه. ولكن ذلك الإشتراك « السلفي » بينهما جزء ضئيل جدّا في الميزان التجاري العام للكسبين وللتجربتين.



كسب آخر لا يند عن التصنيف السلفي سيّما في الحقل الأصولي الفقهي وهو كسب الفقيه الثائر «ابن حزم» وهو أديب فقيه وسياسي أندلسي شهير. محطّ السلفية في مذهبه أنّه صاحب المذهب الظاهري في الحقيقة حتّى لو لم يكن هو المؤسّس له إذ أسّس المذهب فقيه قديم هو «داوود». ولكن لو لم يقيض الله لداوود ابن حزم لما كان للمذهب الظاهري أيّ وجود وهو يعدّ اليوم إحدى المذاهب الثمانية التي تلقتها الأمة بالقبول ليتديّنوا بها تقرّبا إلى ربّهم سبحانه. ظاهريّة ابن حزم الأصوليّة والفقهيّة لا تتردّد في نسبته إلى السلفية الفقهيّة بسبب رفضه للقياس مطلقا ومن يرفض القياس يرفض الاجتهاد من أبوابه الأولى الواسعة. ومن يرفض الإجتهد يرفض النظر المقاصدي استصلاحا واستحسانا. سوى أنّ الرّجل أنقذه عقله الفقهي الكبير أن يتورّط في سلفيّة ظاهريّة تحكم على الإسلام بالتّسطيح وعدم القدرة على الحياة - بله توجيهها - عندما تجد للنّاس أقضية مركّبة لا يجدي معها سوى الإجتهد المقاصدي الإستصلاحي. ذلك أنّ الرّجل لم يرفض القياس تشبّثا بالظاهريّة أو جهلا بالاتجاه المقاصدي للشريعة الإسلاميّة ولكنّه رفض القياس ردّة فعل قاسية وخاطئة في الآن نفسه على تورّط التّقليد الفقهي من بعد الأئمة الأربعة بعقود أو قرون في تحشية حشويّة آلت بالفقه إلى أحجيات وطلاسم منغلقة لا تعبر عن دين ولا تعالج مشكلة واقعية.

ظاهريّة ابن حزم
الأصوليّة والفقهيّة
لا تتردّد في نسبته
إلى السلفيّة
الفقهيّة بسبب
رفضه للقياس
مطلقا ومن يرفض
القياس يرفض
الاجتهاد من أبوابه
الأولى الواسعة.
ومن يرفض
الإجتهد يرفض
النظر المقاصدي
استصلاحا
واستحسانا،
لكن الرّجل
أنقذه عقله
الفقهي الكبير أن
يتورّط في سلفيّة
ظاهريّة تحكم
على الإسلام
بالتّسطيح وعدم
القدرة على الحياة



ولكن السلفية المعاصرة لم تكن موحدة لأول مرة إذ خرج منها طيف واسع وعريض يقوم على تركية النّظام السّياسي في بعض الأنظمة الخليجية ويوفر له الغطاء الشّرعي الكافي. أي أنّ طيفا من السلفية المعاصرة (تيمّن) لأول مرّة في تاريخ السلفية التي ظلت (متيسّرة).

كما ظلَّت السَّلفية في الأعم الأغلب تقوم على محاولات التَّصدي لما تعتبره عدم وفاء من الأُمَّة أو من فعالياتها الحركيَّة فكريًا وسياسيًا وإصلاحيًا للنَّص الإسلامي بمثل ما فهمه الجيل الأول وزاولة.

إلتزام الوفاء الفكري من جهة واليسار السياسي من جهة أخرى هما أكثر ما يفسّر هذه الظَّاهرة الإجماعية الدِّينية المركَّبة إلى جانب محاربة ما يعدّ بدعة في الدِّين لولا أنّ التوسع في التَّبديع في أكثر السَّلفيات الغابرة والحاضرة حرم هذه الظَّاهرة الإجماعية الدِّينية من إمكانيات النظر الجامع للأمور.

ذلك ما تيسّر لي جمعه عن السَّلفية مصطلحا لغويًا وقيمة تاريخيَّة. بقي عليّ أن أتوسّع قليلا في تحليل السَّلفية نشأة وتاريخا وتأثيرا من جهة ورصدا لبعض مواقفها من جهة أخرى وقراءة لمركَّباتها الفكرية قراءة نقديَّة من جهة ثالثة فإذا آل بي الأمر إلى الكشف عن قوانين فكرية حاكمة على هذه الظَّاهرة الإجماعية الدِّينية المركَّبة فإنّ هذا الكتاب يكون قد اقترب من تحقيق أمله وليس أمله سوى فتح حوار هادئ وعميق وجامع حول السَّلفية.



إلتزام الوفاء
الفكري من جهة
واليسار السياسي
من جهة أخرى
هما أكثر ما
يفسّر هذه الظَّاهرة
الإجماعية
الدِّينية المركَّبة
إلى جانب محاربة
ما يعدّ بدعة
في الدِّين لولا
أنّ التوسع في
التَّبديع في أكثر
السَّلفيات الغابرة
والحاضرة حرم
هذه الظَّاهرة
الإجماعية
الدِّينية
من إمكانيات
النظر الجامع
للأمور.



السلفية نشأة وتطورا



يهمنا الحديث
عن السلفية
المتلبسة بالدين
وذلك بسبب
أن أكبر ضلع
من الأضلاع
الثلاثة (الدين
والتاريخ والواقع)
التي تصنع السلفية
وتساهم إما في
مزيد من جمودها
أو في معالجتها
للمقاصديّة
والموضوعيّة.



دعنا نبتدئ الحديث عن السلفية من السلفيات القريبة غير الموغلة في التاريخ السحيق. نبدأ ممّا بين أيدينا من مصادر موثقة لئلا نقع في الجور على أحد ونحن نحسب أننا نحسن صنعا. دعنا نبدأ من الكتاب العزيز الهادي وهو يحدثنا عن السلفية الكتابيّة إذ يقول في بعض تلك المواضع : «يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ»⁽³⁾. يهمنا الحديث عن السلفية المتلبسة بالدين وذلك بسبب أن أكبر ضلع من الأضلاع الثلاثة (الدين والتاريخ والواقع) التي تصنع السلفية وتساهم إما في مزيد من جمودها أو في معالجتها للمقاصديّة والموضوعيّة .. أكبر تلك الأضلاع الثلاثة هو ضلع الدين. أول سلفية تلبست بالدين هي السلفية الإسرائيليّة بشقيها اليهودي والنصراني. ذلك أنّ المنشأ النفسي الفكري الخفي لأي اتجاه سلفي ديني في الأعم الأغلب هو شعور داخلي يظلّ يحتدّ وقوامه أنّ التعبير الديني السائد غير وفي للنص الديني الوافد. ذلك المنشأ تشترك فيه الحركات الإصلاحية الدينية كلّها - حتى لو كانت من لدن

[3] سورة النساء - الآية 171



إن المنشأ النفسي
الفكري الخفي
لأي اتجاه سلفي
ديني في الأعم
الأغلب هو شعور
داخلي يظل يحتد
وقوامه أن التعبير
الديني السائد
غير وفي للنص
الديني الوافد.
ذلك المنشأ تشترك
فيه الحركات
الإصلاحية
الدينية كلها،
حتى لو كانت
من لدن اليهود
والنصارى كما هو
حال المصلح الديني
الغربي الكبير
الشهير لوثر كنغ.



اليهود والنصارى كما هو حال المصلح الديني الغربي الكبير الشهير «لوثر كنغ» وغيره - المنشأ في ذاته منشأ غريزي فطري جبلي فينا نحن معاشر المتدينين. ولكن يحصل الفراق في اتجاهات ذلك المنشأ عندما يباشره أهله فوق الأرض إذ يستخدم هذا معايير مقاصدية موضوعية علمية جامعة فينطلق إلى الإمام لا تشغله الصغائر في حين أن السلفي سلفية مغشوشة تستوقفه الظواهر والسطحيات لتحبسه عن الإنطلاق فيغرق فيها ثم يؤول به الأمر إلى خصام مع الواقع ثم إلى خصام مع نفسه فإذا ظل كذلك بادر إلى إستخدام أقصى سلاحين يتأبطهما كل سلفي سلفية مغرورة أي تكفير الناس بالجملة ثم تفجير ممتلكاتهم بالجملة. بل قد يفضي به ذلك الإضطراب في التقويم والتقدير بسبب ضحالة البضاعة العلمية - دينا وواقعا وتاريخا - إلى إضفاء الشرعية على الباطل السياسي الذي لم تنشأ فيه ناشئته في البداية إلا لشن الحرب عليه. لا يساورني شك أبدا ولا ريب في أن السلفية المعاصرة التي تقف في صف الأنظمة العربية السياسية الموغلة في الفساد السياسي والمالي والقومي هي سلفية نشأت على مثل تلك النشأة الأولى ولكنها في لحظة إضطراب صادم وتشوش عارم أفلت منها قياد العجلة لتتخذ الموقف النقيض بالكلية لمنشئها الذي نشأت عليه. عندما تجد اليوم سلفية تزكي أنظمة والغة في الفساد بكل مناحيه ليس لك إلا أن تخلص إلى ذلك. ذلك أن تلك السلفية إنما قامت على نقيض ذلك الواقع فإذا هي تلفى نفسها منافحة عنه بالضرورة. الأصل في السلفية أنها حركة يسارية بالمعنى السياسي المعاصر أي حركة معارضة ولو معارضة دينية جزئية ولكن النفس المعارض فيها عندما يختفي لا تلفاها غير حركة يمينية بالمعنى السياسي المعاصر. لا ضير علينا في دعوة تلك المصطلحات إذ العبرة ليست بها ولكن العبرة بمقاصدها نسجا للهجة مشتركة بين الناس المهتمين اليوم بمثل هذه القضايا.

نشأت السلفية الإسرائيلية إذن بسبب ضحالة عقلية فجّة جرتها إلى تأليه الرجل الذي لم يخلق استثناء من أنثى غير موطوءة بذكر إلا لإبراز عجائب قدرة الخلاق العظيم سبحانه وهو إبراز يقصد منه الأوبة إليه

وإفراده بالتوحيد والإلهية والعبودية تحريراً لهم من وهدة الوثنية والصنمية والشرك. أي أن المعجزة التي أريد بها تحريرهم تحولت عندهم لفرط حمقهم إلى غاية قصوى لا مناص من عبادتها وتأليها. هل هناك حمق حصل في التاريخ فعد أفحش من هذا الحمق. لا أظن. محط التفكير السلفي هنا هو أن الإسرائيليين - وهم هنا تحديدا النصارى الذين وصفوا بالضلال وهو عدم العثور على الحق وليس العثور عليه وتنكبه - ما أرادوا ابتداء إلا التوحيد الإلهي المنشود منهم ولكن البضاعة العقلية المزجاة التي بحوزتهم حبستهم عن ذلك. أي أنها سلفية لم يؤثر عنها أنها خبيثة الطوية في البداية ولكن خانها التفكير السليم أي التزمت التفكير البسيط المفرد الأحادي غير المركب متعدد الأبعاد الذي يعتمد السؤال. إذ لو سألوا أنفسهم أنى لهذا الولد أن يولد بتلك الطريقة غير التقليدية التي لم تخرق مذ بدء الخليقة .. لو انخرطوا في السؤال لأفضوا إلى الحقيقة ولكنهم أبوا رفع الأبصار إلى السماء فظلت منهم الأبصار منبهة بالمخلوق غافلة عن الخالق. أي مشغولة بالإطار الضيق المادي المائل أمامهم غير باصرة إلى الأفق الرحب. إذا كنت قد وفيت الأمر حقّه هنا شرحاً للاحظت معي أن ذلك هو المقصود من القول بأن السلفية الدينية في كل زمان وفي كل مكان ذاك هو ضعفها الفادح. ضعف يقصر النظر على الحادث بجزئياته وتفصيله في غفلة عن المقصود منه بله أسبابه وسننه وعلله وغير ذلك مما يوسع آفاق البحث. تلك هي العلة السيئة التي تشترك فيها كل السلفيات يستوي في ذلك أن تكون سلفيات دينية أو غير دينية بل يستوي الأمر فيها أن تكون سلفية إسرائيلية يهودية نصرانية أو سلفية إسلامية. إذا صاحبتني في هذا التفكير الذي يرد الأمر إلى عمقه الأول وجرثومته الأصلية⁽⁴⁾ أدركت



نشأت السلفية
الإسرائيلية
إذن بسبب ضحالة
عقلية فجأة
جرتها إلى تأليه
الرجل الذي لم
يخلق استثناء من
أنشئ غير موطوءة
بذكر إلا لإبراز
عجائب قدرة
الخلق العظيم
سبحانه وهو
إبراز يقصد منه
الأوبة إليه وإفراده
بالتوحيد والإلهية
والعبودية تحريراً
لهم من وهدة
الوثنية والصنمية
والشرك.



[4] كلمة جرثومة في اللغة العربية تحمل البعد الإيجابي لا البعد السلبي بمثل

ما نستخدمها نحن اليوم

معي السبب والعلّة وأمكن عندها فحسب الانطلاق في مرحلة العلاج أو الوقاية.

ذلك منشأ فكري عقدي بدأنا به لأنّه الأخطر ولكنّ القرآن الكريم حدّثنا في مواضع كثيرة ومطوّلة عن منشأ فكري مسلكي آخر هو سليل تلك النظرة العقدية دون ريب ولكنّه أدنى إلى الفكر العملي. أطل الحديث مثلاً في قصّة البقرة التي بسببها سمّيت أطول سورة وأولها وأعظمها سورة البقرة. في تلك القصّة يبيّن لنا كيف أنّ السّلفية الإسرائيليّة شغلت نفسها بالجزئيات والتّفاصيل فيما يتعلّق بالبقرة المطلوب ذبحها فظلّوا يشدّدون على أنفسهم تفصّياً من أداء الواجب الديني ولم يعاملهم الله سبحانه إلّا بمثل ما عاملوا به أنفسهم أي شدّد عليهم في شروطها بقدر ما يشدّدون على أنفسهم في ذلك⁽⁵⁾. ذلك مثال رائع جدّاً يعلمنا أنّ منشأ كلّ سلفيّة في الأعم الأغلب هو منشأ العكوف على الظواهر والسّطحيات والجزئيات والكليّات مع غفلة كبيرة عن الأبعاد والكليّات والمقاصد والمطلوبات الحقيقية. لا يساورني أيّ ريب في أنّ القرآن الكريم عندما حفل بذلك وهو موجّه إلينا نحن بالأساس الأول إنّما يريد تجنيبنا المآل الإسرائيلي الذي ولغ في سلفيّة حرمتهم لذّة الطّاعة بمثل ما يأمرهم به سبحانه. الدّرس الموضوع لنا وعلينا تعلّمه جيّداً هو أنّ الطّاعة لله سبحانه لا تكون إلّا بالغفلة المقصودة عن التّفاصيل والتّشبّث بالمقاصد. لم يوضع لنا ذلك سرداً تاريخياً بليداً ولكنّه وضع لنا درساً في فقه الحياة. أي فرق بين السّلفية العربيّة المعاصرة التي تعالج الحياة بمثل تلك المعالجة الإسرائيليّة ذاتها وبين السّلفية الإسرائيليّة. أليس تهدينا العقول بمثل ما تهدينا الأديان إلى أنّ التفريق بين المتجانسات المتماثلات أفن فكريّ نزهدنا



شغلت السّلفية
الإسرائيليّة نفسها
بالجزئيات
والتّفاصيل فيما
يتعلّق بالبقرة
المطلوب ذبحها
فظلّوا يشدّدون
على أنفسهم
تفصّياً من أداء
الواجب الديني
ولم يعاملهم الله
سبحانه إلّا بمثل ما
عاملوا به أنفسهم
أي شدّد عليهم
في شروطها بقدر
ما يشدّدون على
أنفسهم في ذلك.



[5] الآيات 67-71 من سورة البقرة

عنه بالتَّكْرِيم ومثله الجمع بين المختلفات والمتناشزات.

تلك هي كلمة مرتجلة مقتضبة عن النِّشأة الدِّينية الأولى للسَّلفية الإِسْرائِليَّة التجأنا إليها لالتجاء القرآن الكريم ذاته إليها من جهة ولأنَّ الدِّين كلُّه سليل الإِبْراهيميَّة الحنيفيَّة السَّمحة. وما نشب القرآن الكريم بعشرات القصص والأمثال من التَّجربة الإِسْرائِليَّة إلَّا ليجنبنا ذلك المآل الذي أفضى بهم إلى إفتكاك القيادة العالمية منهم. حتَّى التَّجربة الشَّرْكية للعرب في شبه الجزيرة العربيَّة لم تخل من سلفيَّة دينيَّة ذلك أنَّهم ينسبون أنفسهم بشركهم ذاك إلى الإِبْراهيميَّة. ولذلك ردَّ عليهم القرآن الكريم ردا جماعيا يشملهم هم بمثل ما يشمل الإِسْرائِليين : «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»⁽⁶⁾. أي أنَّ المشركين أنفسهم كانوا ينسبون أنفسهم إلى الإِبْراهيميَّة الحنيفية السَّمحة ولذا برأ سبحانه تلك الإِبْراهيميَّة من تلك الإِنتسابات المغشوشة الثلاثة ثم قصرها على هذه الأُمَّة : «إِنَّ أَوَّلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا»⁽⁷⁾. تجسَّدت السَّلفية العربيَّة الوثنيَّة الأولى في مظاهر كثيرة منها طوافهم بالبيت عِرة أي بمثل ما قال عنهم سبحانه : «وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً»⁽⁸⁾. كانوا يطوفون عِرة لظنهم ظنًا سلفيًا موعلا في التَّفكير السَّلفي وهو أنَّ أوزارهم يتخلَّصون منها بمجرد تخلَّصهم من ملابسهم. هو التَّفكير السَّلفي دوما كذلك. لا يلتقط من المشهد إلَّا ظاهره المحبوس في الأسماع والأبصار. أما الأفتدة التي يتميَّز بها الإنسان وهو يطلب المعرفة والعلم - الأفتدة هي العقول - فلا تحريك لها ولا تفعيل. مصادر العرفان ثلاثة قطعاً لا رابع لها عند التَّحقيق : السَّمع والبصر والفؤاد. السَّمع والبصر نشترك فيه مع



مصادر العرفان
ثلاثة قطعاً لا رابع
لها عند التَّحقيق:
السَّمع والبصر
والفؤاد. السَّمع
والبصر نشترك
فيه مع العجاويز
البكماء.
أما الفؤاد فلا.
هو محط التَّكْرِيم
فينا قطعاً. فإذا
أغينا العلم بطريق
الأفتدة أي العقول
التي تفكر وتتأمل
وتتدبر فنستوي
مع البهائم قطعاً ولا
كرامة.



[6] سورة آل عمران - الآية 67

[7] سورة آل عمران - الآية 68

[8] سورة الأنفال - الآية 35



منابت السلفية
العظمى الأولى
هي الظاهرية
المفرطة والتعويل
على الحس لا على
الفؤاد والقصور
على الموضوعية
لا الموضوعية
والحرفية النصية
بدل المقاصدية
والفردية
بدل الجماعية
والحاضرة
بدل السنية
السببية التي تفتح
الآفاق للبحث
والتنقيب والتثوير
والاجتهاد والتدبر



العجماوات البكماوات. أمّا الفؤاد فلا. هو محطّ التّكريم فينا قطعاً. فإذا ألغينا العلم بطريق الأفئدة أي العقول التي تفكّر وتتأمّل وتتدبّر وتقرّن وتحتمل وتنقض وتناقش وتجاوز وتفترض وتحسم إلخ .. إذا ألغينا ذلك فنستوي مع البهائم قطعاً ولا كرامة. تلك هي منابت السّلفية سيّما إذا كانت متلبّسة بالدين - دك من الدين هنا إن كان صحيحاً أم مزيّفاً - منابت السّلفية العظمى الأولى هي الظّاهرية المفرطة والتّعويل على الحسّ لا على الفؤاد والقصور على الموضوعية لا الموضوعية والحرفية النصية في الخطاب العربي كلّ - وليس الوحي فحسب - بدل المقاصدية والفردية بدل الجماعية والحاضرة بدل السّنية السببية العلّية المصلحية التي تفتح الآفاق للبحث والتنقيب والتثوير والاجتهاد والتدبر. كل من يستقرئ الكتاب العزيز الهادي يدرك لأوّل وهلة وبيسر شديد أنّ الأمر بالتدبر الوارد في الكتاب العزيز الهادي هو خطّ سير مضاد للسّلفية بالتّمّام والكمال. السّلفية قوامها الفهم السّطحي معزولاً عن ملابسات نزوله ومناسباته ومقاصده ومن هي الجهة التي يتوجّه إليها الخطاب وغير ذلك ممّا هو من مهمّات أصول الفقه ومقاصد الشريعة وقواعد الفقه وفقه المقامات. في حين أنّ التدبّر هو إتيان الكتاب من دبره أي من خلفه أي ممّا هو منه مستور غير مكشوف ويحتاج إلى تثوير كما قال ابن عباس حبر الأمّة وترجمان الكتاب العزيز الهادي. بل رفع بعضهم ذلك الأثر: «ثوّروا القرآن» إلى صاحب السنة نفسه عليه الصلاة والسلام⁽⁹⁾. التدبّر إذن هو الأمر الذي تخشاه السّلفية - كل سلفية دينية وغير دينية - ثم تتنكّبه ولو انخرطت فيه لانسجمت مع الحياة ومع الإسلام.

[9] رواه غير واحد عن عبد الله بإسناد صحيح، قال: «إِذَا أَرَدْتُمْ الْعِلْمَ؛ فَأَثِرُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ». وقد وردَ بألفاظٍ متعددةٍ منها: «مَنْ أَرَادَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَلْيُثَوِّرِ الْقُرْآنَ»، وفي رواية: «ثَوِّرُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّ فِيهِ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ» - انظر تخريجه موسعاً في علوم القرآن عند الإمام الشاطبي، باعتناء أحمد سالم: (188)

السلفية الإسلامية



القوانين
المذكورة
أنفا في حق
السلفية - سيما
الدينية منها
- قوانين صارمة
مطردة لا تتخلف
حتى عن السلفية
الإسلامية.
للسلفية جذر
واحد مشترك
بالضرورة.



القوانين المذكورة أنفا في حق السلفية - سيما الدينية منها - قوانين صارمة مطردة لا تتخلف حتى عن السلفية الإسلامية. للسلفية جذر واحد مشترك بالضرورة. نشأت السلفية الإسلامية نشأة خفيفة لطيفة جزئية وصاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام بين ظهرائي الناس يعلمهم الإسلام نظرا وعملا. ظهر ذلك الاتجاه في محطات معروفة منها محطة صلاة العصر في الطريق إلى بني قريظة من بعد الفراغ من الخندق في إثر عزمه عليه الصلاة والسلام على تأديب الفريق الإسرائيلي الخائن لعهدده معه والمتحالف مع الحلف العسكري العربي الأوسع. قال قولته المعروفة عليه الصلاة والسلام: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة»⁽¹⁰⁾. انطلق الصحابة يغذون السير غذا ولما أوشكت الشمس على الاصفرار نشب الخلاف بينهم إذ يدعو فريق منهم إلى صلاة العصر قبل فوات أوانها في حين دعا الفريق الآخر إلى عدم آدائها إلا في بني قريظة حتى

[10] ذكره البخاري تحت باب «صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء» من «كتاب صلاة الخوف» الحديث 904 عن عبد الله بن محمد بن أسماء عن جويرية عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما -

لو فات وقتها. احتجَّ الفريق الأول بأنَّ المقصود منه عليه الصلاة والسَّلام هو أن نغذَّ السَّير ولا نبطئ لنباغت الخصم ونحقِّق الهدف وليس المقصود منه إخلاف موعد صلاة العصر بأيِّ حال من الأحوال. واحتجَّ الفريق الثَّاني بأنَّ ذلك المقصود الذي انتهيتُم إليه لا يهْمُنَا وإنَّما يهْمُنَا ما فهمناه منه أي لا صلاة للعصر إلَّا هناك وليكن ما يكون. باء الحوار بينهم بالفشل الذريع فأدَّى الفريق الأول صلاة العصر وإخوانهم المختلفون معهم يحرسونهم وينظرون فراغهم من الصَّلاة لمواصلة المسير. وصل الصَّحابة محال بني قريظة وغابت الشَّمس وربَّما غاب الشَّفَق الأحمر نفسه ودخلت صلاة العشاء وفريق من أولئك الصَّحابة المجاهدين لم يصلوا العصر. التحق بهم عليه الصَّلاة والسَّلام في ساعة متأخِّرة من اللَّيل فأسرع كلُّ فريق منهم لنيل تزكية منه فاستمع إلى كلِّ منهما ولم ينبس ببنت شفة لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء واكتفى بإبتسامه في وجه كل فريق منهم. إبتسامه تقول : خلاصكم مفهوم ومقبول ويحتمله الإسلام بسبب قيامه على أساس لغوي أو أي أساس آخر من أسس التَّأويل المقبولة وأنتم عندي جديرون بذلك الاختلاف بسبب أن اختلافكم ذاك لم يفرق لكم شملاً إذ ظلَّ المختلفون مع إخوانهم لهم حارسين وعلى بني قريظة متكافلين متعاونين لا يحدث الواحد منكم نفسه بأن المختلف معه على شعبة من غير شعب الإسلام.

درس بليغ جداً. بل أصدقكم القول أنِّي لم أجد - ربَّما - درساً آخر أكثر روعة في السَّيرة كلّها فيما يتعلَّق بأولويَّة وحدة الصَّف المقاوم في الأمَّة مقدمة على كل الأولويَّات مهما بدت تلك الأولويَّات كبيرة أو عظيمة أو ملحَّة. عندما تعتلج الأولويَّات وتتخاصم في سلم الأولويَّة فإنَّه ليس لدينا في الإسلام أولويَّة أولى من تقديم رصِّ الصَّف الإسلامي المتنوع. من فقه ذلك فقه الإسلام كلّه في جماعه كلّه ومن تنكَّب ذلك فقد تنكَّب الإسلام كلّه بجماعه كلّه. هي خطوط حمراء لا تقبل الخصيم ومن خصمها خصمته ولا تباي. هي سنن وأسباب وأقدار وعلل ومن كان ذا شأنه فهو مقدَّم أبداً وبالضرورة.



عندما تعتلج
الأولويَّات
وتتخاصم في سلم
الأولويَّة فإنَّه ليس
لدينا في الإسلام
أولويَّة أولى
من تقديم رصِّ
الصَّف الإسلامي
المتنوع. من فقه
ذلك فقه الإسلام
كله في جماعه
كله ومن تنكَّب
ذلك فقد تنكَّب
الإسلام كلّه
بجماعه كلّه.





نشأت السلفية
الإسلامية نشأة
خفيفة لطيفة
جزئية وصاحب
الرسالة عليه
الصلاة والسلام
بين ظهراني الناس
يعلمهم الإسلام
نظرا وعملا.

ظهر ذلك
الاتجاه في محطات
معروفة منها
محطة صلاة
العصر في الطريق
إلى بني قريظة
من بعد الفراغ من
الخدق.



سلفية بني قريظة إسلامية مقبولة مفهومة

دعنا نسميها «سلفية بني قريظة» نسبة إلى الحادث الذي جرّ إليها. لا عبرة بالأسماء عندي البتّة ولكن العبرة عندي بالمقاصد أبداً البتّة. ذلك مظهر من مظاهر السلفية الإسلامية البريئة المفهومة المقبولة بسبب نشأتها التلقائية غير المعقّدة وهي نشأة فرضتها اختلافات الناس في الفهم وفي التنزيل وفي السياقات اللغوية ذاتها ومعطيات الزّمان والمكان والحال والعرف وغير ذلك ممّا يتنوّع فيه الناس. لم تكن تلك السلفية الأولى كذلك إلّا لسبب واحد لا ثاني له وهو أنّها سلفية كانت من الفهم الصحيح للإسلام بمنزلة كبيرة جعلتها تقدّم أولويّة الصّف الإسلامي المقاوم متراصاً موحداً متكافلاً رغم كلّ التباينات ولو كانت تلك التباينات كبيرة. نحن اليوم نعد متخلّفاً عن صلاة العصر لمثل ذلك التأويل خارجاً عن الملة جملة وتفصيلاً. من الأرجح قولاً : نحن أم صاحب الرسالة نفسه عليه الصلاة والسلام. نقول بالسنتنا دون ريب : طبعاً هو الأرجح. أمّا بأعمالنا فالذي نأتيه هو خلاف ذلك بالتّمام والكمال. لا أقسو عليكم ولكنّها الحقيقة التي لا نريد الإذعان إليها لأنّها تؤلّنا. عندما تكون السلفية الإسلامية المعاصرة بمثل ذلك المستوى العظيم من منهاج التفكير أي مقدّمة لألويّة الأولويّات في الإسلام أي وحدة الصّف المقاوم مرصوصاً رغم الاختلافات .. عندما تكون السلفية الإسلامية المعاصرة كذلك فأنا أول السلفيين. هي سلفية يحتملها الإسلام الذي لا يضيق بالاختلاف في الجزئيات والصّغائر والذّيول مهما



هما سفنان يقودان
السفينة فينا:
القلب والعقل معا.
فمن أطاع
قلبه وعصى عقله
فما كان الأوفى
للإسلام ومن أطاع
عقله وعصى قلبه
فما كان الأوفى
كذلك للإسلام
ولكن الأوفى
منا للإسلام هو
من أطاعهما معا
لأنهما لا يختصمان
ولكنهما
يتكافلان لإنتاج
الحقيقة ورصد
الصواب.



كثرت وكبرت. إنما يضيق ضيقا شديدا جدا يجعله متشددا جدا عندما يتعلق الأمر بالمحكمات الراسخات الثابتات. وأولى ذلك طرا مطلقا هي وحدة الأمة المتنوعة. كلما وسعت تلك الدائرة كنت مسلما حصيفا أريبا ذكيا واعيا وكلما ضيقت تلك الدائرة كنت مسلما مغشوشا مزيفا يحمله قلبه على غير مقتضى العقل الحصيف الأريب الحكيم. هما سفنان يقودان السفينة فينا : القلب والعقل معا. فمن أطاع قلبه وعصى عقله فما كان الأوفى للإسلام ومن أطاع عقله وعصى قلبه فما كان الأوفى كذلك للإسلام ولكن الأوفى منا للإسلام هو من أطاعهما معا لأنهما لا يختصمان ولكنهما يتكافلان لإنتاج الحقيقة ورصد الصواب وقيادة سفينة الإنسان إلى شطآن الأمان مهما ادلهمت خطوب العواصف والزوابع.

إبن القيم هو الوحيد من فقهاء الإسلام وعلمائه - ربما على مر التاريخ كله - ممن قال بصوابية الذين صلوا العصر في الطريق ثم واصلوا السير لأن المقصود منه عليه الصلاة والسلام هو المبادرة والإسراع والتحرير والحض والحض وليس تفويت صلاة العصر. الأمر يجب أن يعالج مركبا لا أحادي البعد. ما ينبغي لنا أن نفرط في ذلك لمن يرجح ذلك إلى درجة نتورط فيها بالقول أنه عليه الصلاة والسلام لم يخطئ من حقه التخطئة. ولكن هل يسعنا التصويب هنا. سؤال يتطلب حذرا وفقها. الجواب عليه يجب عليه أن يكون محاطا بأصول معلومة. أول تلك الأصول أن ذلك الخلاف منهم كان خلافا فرعيا وليس أصوليا ولو كان خلافا كبيرا يتطلب التصويب لما تخلف البيان منه عليه الصلاة والسلام عن وقت الحاجة كما يقول الأصوليون. وثاني تلك الأصول هو أن المختلف فيه بينهم ليس صلاة العصر ولكن المختلف فيه بينهم هو فهم النص النبوي حتى لو أدى فهم ذلك النص إلى إخلاف صلاة العصر ولكن بتأويل وليس بهوى أو شهوة أو تأويل فاسد. الأصل الثالث هنا هو أن قول إبن القيم لا يتجاوز حد القول بأن فهم الفريق الأول أدنى إلى الإسلام دون أن ينفي عن فهم الفريق الثاني حكمة ومقصدا هو مقصد الالتزام بقوله عليه الصلاة والسلام طاعة وامتنالا.

ولكنّ الذي يهَمُّنا الآن هو أنّ الاختلافات تظلّ دوما جزئية صغيرة حتى لو أدّت إلى مثل ما أدّت إليه في هذه الحادثة ولكن بشرطين لا بدّ منهما : شرط التّأويل المقبول لغة وفهما وغير ذلك من شروط التّأويل المقبول. وشرط الإخلاص الذي حرمناه اليوم في إختلافاتنا الكثيرة كثيرا إلّا قليلا من قليل من قليل ممن رحم ربك سبحانه.

عندما تلتزم السلفيّة المعاصرة بمثل ذلك فلا يتردّد مسلم في قبولها حتى لو كان التلقّب بأيّ لقب آخر غير لقب الإسلام الذي منحناه إبراهيم الخليل عليه السلام : «هو سماكم المسلمين» .. لا حجة لأصحابه عليه ولكن لا مانع منه في مقابل ذلك.



الاختلافات تظلّ
دوما جزئية
صغيرة حتى
لو أدّت إلى مثل ما
أدّت إليه في حادثة
صلاة العصر في
قصة بني قريضة
ولكن بشرطين
لا بدّ منهما : شرط
التّأويل المقبول
لغة وفهما وغير
ذلك من شروط
التّأويل المقبول.
وشرط الإخلاص
الذي حرمناه اليوم
في إختلافاتنا
الكثيرة كثيرا





نشأ الانحراف
الأول عن السلفية
الإسلامية
المعتدلة المقبولة
المفهومة بدء
من الآثار المترتبة
عن مقتل الخليفة
الراشد الثالث ذي
النورين «عثمان
عليه الرضوان».
نشأت هنا سلفية
سياسية قوامها
أن الأخذ بثأر
«عثمان» هو الأولى
وهي سلفية هالها
المقتل وظهور مثل
ذلك في مجتمع
يتربى على أيدي
الصحابة الكرام
مباشرة.



أول بدايات إنحرافات السلفية

كذلك كان الاختلاف إذن في عهده عليه الصلاة والسلام أي اختلافات في الذيول والتفاصيل لا تمس بأصلية وألوية الأصول والكليات. فكان الاختلاف الفقهي بين مدرسة ابن عمر الميالة إلى التشدد وبين مدرسة ابن عباس الميالة إلى الترخص، وكان الاختلاف في النظرة العملية إلى الدنيا بين مدرسة ابن عوف المتوفرة وبين مدرسة أبي ذر المتشظفة، وكان الاختلاف الإداري والسياسي - والذي ستظهر آثاره من بعد موته عليه الصلاة والسلام - بين مدرسة «أبي بكر» ويغلب عليها الحلم في غير ضعف وبين مدرسة «الفاروق» ويغلب عليها الحزم في غير ظلم ومظاهر أخرى لا تحصى من الاختلافات التي يحتملها الإسلام بل هي مقصودة منه سبحانه إبتداء لحكمة الابتلاء وحكم أخرى يضيق عنها المجال هنا لخروج ذلك عن دائرة الإهتمام.

إنما نشأ الانحراف الأول عن السلفية الإسلامية المعتدلة المقبولة المفهومة بدء من الآثار المترتبة عن مقتل الخليفة الراشد الثالث ذي النورين «عثمان عليه الرضوان». نشأت هنا سلفية سياسية قوامها أن الأخذ بثأر «عثمان» هو الأولى وهي سلفية هالها المقتل وظهور مثل ذلك في مجتمع يتربى على أيدي الصحابة الكرام مباشرة. نشأت في مقابل رؤية أخرى - هي الأثقب عندي - قوامها أن الثأر لمقتل «عثمان» في ظل غياب دولة لا معنى له سوى معنى التهيئة لمزيد من الاغتيالات السياسية التي ليس لنا ما نقاومها به. لا تقاوم مثل تلك الاغتيالات السياسية إلا بوحدة الصف أولاً أي بتأسيس

الدولة على أسس البيعة المتراضية.

السلفية السياسية في الإسلام هي الرؤية التي تنظر إلى المشهد من زاوية واحدة أو من أكثر من ذلك دون أن تحيط بالمشهد من كل زواياه. هي الرؤية القريبة ولا يشفع لها إخلاصها لأن الإخلاص يجزى عنه يوم القيامة ثم هو أمر نتحدث عنه بأقلامنا وألسنتنا ولا يدعيه واحد منا لا لنفسه ولا لغيره.

السلفية والرؤية البعيدة في خصام شنيع. ليس مطلوباً من المشهد السياسي أن يتغير ليناسب السلفية ولكن المطلوب من السلفية أن تتطور لتحيط بذلك المشهد إحاطة جامعة لتعالجه معالجة جامعة. لا يتغير الواقع لأننا لا نرضى عنه أو لأننا نريد تغييره ولكن يتغير الواقع بتغيير موازين القوى فيه تدريجاً وصبراً وحسن فقه للمشهد ومكوناته ومركباته البعيدة والقريبة والصديقة والمعادية.



السلفية
السياسية
في الإسلام
هي الرؤية
التي تنظر
إلى المشهد
من زاوية واحدة
أو من أكثر
من ذلك
دون أن تحيط
بالمشهد من كل
زواياه. هي الرؤية
القريبة ولا يشفع
لها إخلاصها لأن
الإخلاص يجزى
عنه يوم القيامة.





كانت لحظة
خروج الخوارج
لحظة فارقة
في تاريخ الأمة
دينيًا وسياسيًا
وكان فهمهم
الشيء لقوله
سبحانه وتعالى:
«إِنَّ الْحُكْمَ
إِلَّا لِلَّهِ» أول شرارة
للإعلان عن تيار
سلفي في الأمة
غادر الأصول
لأول مرة
في التاريخ
الإسلامي.



الخوارج أول من أسس للسلفية الإسلامية المنحرفة

كذلك كانت المعالجات الدينية والسياسية في مرحلة النبوة وفي مرحلة الخلافة الراشدة الأولى. كانت معالجات لا يصيب بعضها الحق كاملاً أو الصواب كاملاً ولكن كانت معصومة أن تنزلق إلى سلفية مغشوشة بأميرين: التأويل المقبول لغة وفهماً من جهة والإخلاص من جهة أخرى. ولكن العاصم الأكبر الذي يمن به سبحانه على أولئك هو فهمهم الصحيح أن الصف الإسلامي المرصوص الواحد المتكافل رغم اختلافاته الفطرية هو الأساس الأول الذي لا بقاء للإسلام إلا به ولا بقاء للأمة إلا به كذلك.

كانت لحظة خروج الخوارج - ولذلك سموا كذلك على الأرجح - على إمامة علي عليه الرضوان وكانوا في البداية من أشد شيعته .. كانت تلك لحظة فارقة في تاريخ الأمة دينيًا وسياسيًا كذلك. كان فهمهم الشيء لقوله سبحانه وتعالى: «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ»⁽¹¹⁾ .. كان ذلك الفهم الأعوج أول شرارة للإعلان عن تيار سلفي في الأمة لأول مرة في التاريخ الإسلامي. تيار سلفي غادر الأصول. ومن غادر الأصول لن يسير في الفلك المناسب له ولا يأمن أن يصطدم بالناس من حوله ثم يصطدم بنفسه أصلاً. ليس

[11] سورة يوسف الآية 40

معنى ذلك أنَّ الخلافات كانت دينية فحسب. لا بل كانت سياسية بالمقام الأول. ولكنها تتخذ لها من الدين ألبسة واثارا. لم يند عن ذلك لا الخوارج - أول الفرق ظهورا - ولا المعتزلة ولا الشيعة ولا الماتريدية ولا الأشاعرة ولا الفرق الأخرى الصغرى المحشورة في دائرة عقيدة القضاء والقدر من مثل المرجئة والقدرية والجبرية وغيرها من الفرق الجامعة والجزئية وهي لا تكاد تحصى.



الخوارج هم التعبير القح عن السلفية الإسلامية الأولى المنحرفة ولكن بقيّة الفرق لم تكن بمنجبا عن ذلك. الإختلاف بينها هو في اتجاه السير. فمن ضخم العقل على حساب النص القاطع هم سلفيون أقحاح كذلك والذين ضخموا الإلهام والرؤى والأحوال الذوقية على أصول الشريعة وهاديات العقل.



تلك هي الجرثومة الأولى لكل سلفية : حدج⁽¹²⁾ المشهد في حينه دون إحاطة بالمشهد العام. أي غاض الخوارج أن يحكم عليّ عليه الرضوان الرجال في دين الله ولم يحدجوا المشهد الجامع وهو ينادي بأعلى صوته : «الأمة مهددة في وحدتها ومن كان مهتدا في وحدته لا مجال للحديث معه عما هو أدنى من ذلك لأنّ كل شيء طرا مطلقا هو أدنى من مطالب الوحدة والتآخي والتكافل والتواصي بالحق والصبر والحق والاعتصام». ذلك هو المعيار الحاسم الذي نطلّ نفياً إليه في هذا الكتاب. ذلك هو المعيار الحاسم الذي تدرك به نفسك سلفياً مجدداً أو سلفياً مغشوشاً مزيّفاً.

الخوارج هم التعبير القح عن السلفية الإسلامية الأولى المنحرفة ولكن بقيّة الفرق لم تكن بمنجبا عن ذلك. الإختلاف بينها هو في اتجاه السير. فمن ضخم العقل على حساب النص القاطع من مثل المعتزلة في بعض مواقفهم (موقفهم من رؤية الله مثلا سبحانه يوم القيامة لأهل الجنة) هم سلفيون أقحاح كذلك وبامتياز شديد. ومثلهم الباطنية - والشيعة فرقة باطنية في الأصل سيّما الغلاة منهم - الذين ضخموا الإلهام والرؤى والأحوال الذوقية على أصول الشريعة وهاديات العقل .. هم كذلك سلفيون أقحاح وبامتياز شديد. وينسحب ذلك المعيار على كلّ فرقة في الغابر أو في الحاضر.

[12] حَدَجَ الشَّخْصَ : رَمَاهُ بِسَهْمٍ أَوْ بِنَظَرٍ حَادَّةٍ - وَحَدَجَهُ بِنَظَرَةٍ ارْتِيَابٍ : نَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَةً ارْتِيَابٍ - حَدَجَ السَّهْمُ : رَمَاهُ

الغرض من هذا المؤلف هو بيان أنّ السّلفية منهاج في التّفكير وليس حركة فكريّة معزولة. عندما نعامل السّلفية على أنّها حركة فكريّة معزولة ندت عن المنهاج الأدنى إلى الشّريعة الإسلاميّة، فلن ينجو واحد منّا من ذلك لأنّ الانحراف الجزئي مفهوم بسبب القصور العقلي كلّما كان المرء على الصّراط العقلي المستقيم. ولذلك ننتصر للقول بأنّ السّلفية المغشوشة المزيفة هي منهاج فكري يفتقر إلى المقاصديّة والموضوعيّة والعلميّة والجماعيّة.



المطلوب
عقلا إسلاميّا
غير معرض منذ
البداية إلى
الاختراق السلفي
شأن أغلب عقولنا
اليوم. والمطلوب
من السلفيّة
هو شيء واحد
إسمه: «إعادة
تركيب العقل
تركيبا جديدا
لمدّة زمنيّة قصيرة
يستمع فيها
إلى المحاور دون
أحكام مسبقة».



لا عبرة بالاتجاهات المختلفة للسّلفية وإنّما العبرة بلزوم المنهاج الفكري الأدنى إلى الشّريعة أو انعدام ذلك. وذلك هو ما يبرّر القول أنّ السّلفية منها مسيحيّة إرتودوكسيّة ومنها إسرائيليّة ومنها وثنيّة صنميّة كذلك. قصر السّلفية على الإسلام إجحاف لمن هو عاقل وجهل لمن لا يعلم.

ومن الأدلة على هشاشة النظم العقلي السلفي المنحرف هو أن حبر الأمة ابن عباس لما أرسله الإمام عليّ عليه الرّضوان إلى الخوارج - وهم بالآلاف - ليحاورهم رجع بكثير منهم إلى الصّف الإسلامي بقيادة عليّ في ذلك الوقت قبل أن ينجح الأمويّون في إنجاز إنقلابهم التّاريخي الغاشم ضدّ الخلافة الرّاشدة وإرثها الشّورى الإسلامي.

إنّما المطلوب عقلا إسلاميّا مثل عقل حبر الأمّة وليس عقلا إسلاميّا معرضا منذ البداية إلى الاختراق السلفي شأن أغلب عقولنا اليوم. أجل. دعنا يؤلم بعضنا بعضا لعلّنا نظفر بالحقيقة بدل المجاملات الفارغة. أمّا المطلوب من السّلفية هو شيء واحد إسمه : «إعادة تركيب العقل تركيبا جديدا لمدّة زمنيّة قصيرة يستمع فيها إلى المحاور دون أحكام مسبقة». إذا حصل ذلك من رجال في مثل عقل حبر الأمّة من جهة ومن رجال في مثل الخوارج الذين عادوا إلى الصّف الإسلامي من جهة أخرى .. عندما يحصل ذاك فأبشر. أمّا التراشق الحربي بالأقلام والألسنة فيحسنه كل أحد.



سلفيات متنوعة داخل الدثار الإسلامي نفسه

ليس هناك سلفية واحدة. هناك سلفية أصولية كما مرّ بنا مع الخوارج وغيرهم. هي سلفية كلامية في الوقت ذاته أي أصولية دينية. وهناك سلفية أصولية فقهية مثل السلفية التي تسوّي بين القرآن والسنة - أي الحديث بمعناه الأصولي - في مستوى التشريع الزاما وثقلا في الأمر وفي النهي. وهناك سلفية فقهية أشير إليها آنفا من مثل سلفية ظاهرية عند ابن حزم لولا أنّ الرجل تغلب عليها بعقله الكبير ومن مثل سلفية الإمام أحمد الذي يقدّم الحديث الضعيف في بعض الأحيان وبعض الشروط المعروفة على القياس وهناك سلفية تاريخية تزور التاريخ لفائدة تيار ما في الأمة وهو الأمر الذي لم يكد ينجو منه أحد من كتّاب التاريخ. وهناك سلفية فكرية شعارها : «ليس في الإمكان أحسن مما كان». و «ما ترك الأولون للآخرين شيئا». وهناك سلفية إصلاحية تعدّ سنة السلف الصالح مصدرا من مصادر الاستراتيجية الإصلاحية - بل ربّما مصدرا من مصادر التشريع أيضا - إلى جانب الأصول العقديّة المعروفة المعتمدة. والخلاف دوما قائم في مستوى السلف الصالح متى يبدوون ومتى ينتهون. إذا كان موثلا ذلك إلى الحديث الصحيح : «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم».. فنعم التأويل هو على أن القرن هو الجيل وليس المعنى المعاصر الذي ليس عليه تواضع حتّى فيما بيننا نحن اليوم أبناء القرن العشرين وما قبله وما بعده. أمّا إذا عدّنا الأمويين تجربة سياسية قوامها مناهضة الأصول الإسلامية الصحيحة في الإدارة السياسية .. إذا عدّنا الأمويين والعباسيين

هناك سلفية
إصلاحية تعدّ
سنة السلف
الصالح
مصدرا من مصادر
الاستراتيجية
الإصلاحية -
بل ربّما مصدرا
من مصادر التشريع
أيضا - إلى جانب
الأصول العقديّة
المعروفة المعتمدة.
والخلاف دوما
قائم في مستوى
السلف الصالح
متى يبدوون ومتى
ينتھون.



كذلك سلفا صالحا فأين اللقاء.

هناك سلفية سياسية كما مرّ بنا. وهناك سلفية إجتماعية تكاد تسوّي بين الدين وبين التقاليد والعادات والأعراف سيّما فيما يتّصل بالمرأة والأسرة.

وهناك سلفية عقديّة فرّت من التّأويل خوفا من عدم الوفاء للتّنزيه الإلهي فما نجحت في فرارها لأنّ التّأويل يكون أحيانا معينا ضروريا على ذلك التّنزيه الإلهي المطلق وذلك من مثل قوله سبحانه : «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ»⁽¹³⁾. لو لم تقم هنا على تأويل « وجهه » من المعنى العقلي الأوّلي للجزئية والموضعية إلى المعنى الكلّي الجامع لتورّطت فيما تريد الفرار منه. هذا درس جيّد هنا يعلّمنا أنّ لزوم أعلى قاعدة في الحياة وهي ألاّ إفراط ولا تفريط أو هي : «لزوم الميزان بين الإفراط وبين التفريط» .. لزوم تلك القاعدة وقوامها الميزان والعدل بين كل أمرين يبدوان في علاقة تقابل .. لزوم تلك القاعدة هو الموقف الوسطي المعتدل المتوازن الذي يرّبي عليه الإسلام أهله في كلّ شيء من الاعتقاد حتى إماطة الأذى عن الطّريق. عندما يتحمّس بعض السّلفيين سلفية عقديّة إلى التّنزيه الإلهي المطلق وإلى أبعد الحدود ثمّ يكلّفون عقولهم في ذلك ما لا تطيقه، فإنّهم يقعون في ضدّ مقصودهم.

القرآن الكريم - كما رأيت بنفسك هنا في هذا المثال - يسفّهم ليعلمهم أنّ الميزان - الذي هو منزل مع الكتاب العزيز الهادي جنبا إلى جنب فلا يستغني هذا عن ذاك ولا ذاك عن هذا - هو لزوم الوسطية حتّى عندما يتلّقى الأمر بالتّنزيه الإلهي الذي هو مخّ التّوحيد وهذا بدوره مخّ العقيدة وهي مخّ الإسلام الذي جاء ليوجّه الحياة. لك أن تفرّ من التّأويل إذن



القرآن الكريم
يعلمنا أنّ الميزان
- الذي هو منزل
مع الكتاب العزيز
الهادي جنبا
إلى جنب
فلا يستغني هذا
عن ذاك ولا ذاك
عن هذا - هو لزوم
الوسطية حتّى
عندما يتلّقى
الأمر بالتّنزيه
الإلهي الذي هو
مخّ التّوحيد وهذا
بدوره مخّ العقيدة
وهي مخّ الإسلام
الذي جاء ليوجّه
الحياة.



[13] سورة القصص الآية 88

ولكن لا تتوغل حتّى تدرك الجهة المقابلة بالتّمام والكمال أو كما نقول اليوم بالتعبير الهندسي 180 درجة. فر من التّأويل ولكن لا تقع في نواقض العقل لأنّ العقل أساس التّكليف ولا يكلفنا سبحانه سيّما في المعتقدات وأكثر الأعمال الكبرى إلّا بما نعقله ونفهمه. الفرار من التّأويل لا يعني التّفويض بالضرورة. فر من التّأويل بقدر فرارك من التجسيم والتّشبيه والتّمثيل وحتّى لا تقع في ضد قوله سبحانه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»⁽¹⁴⁾. ليس كمثله شيء كافية وزيادة لأن تبرئك من التّأويل المفضي إلى التّجسيم والتّمثيل والتّشبيه. فرارك من التّأويل إلى التّفويض يوقعك في شرّ آخر إسمه التّعطيل. رأيت كيف أنّ الأمر هنا نسبي جدّا. الأهمّ من كل ذلك هو أنّ السّلفيين - أو بعضهم - يظّلون متردّدين بين تلك المستويات بما لم يكلفهم به سبحانه ثم يغرقون في معارك وزوابع وعواصف تفضي بهم إلى تكفير بعضهم بعضا أو تفسيقا وتبديعا، ثم يقعون في الولوج في أعراض النّاس الذي لا يعدّه الإسلام بمحكماته إلّا أكبر الكبائر طرّا مطلقا. من لم يتشبع بالنّظرة النّسبية وهي بالضرورة نظرة متوازنة معتدلة وسطية، فإنه يفرّ من هذا ليقع في ذلك. تلك هي الحياة بحسب ما براها باريها سبحانه.

ومن زاوية نظر أخرى هناك السّلفية السلوكية وهناك السّلفية الفكرية وهناك السّلفية المسمّاة اليوم زورا سلفية جهاديّة وهناك السّلفية العلميّة. ذلك التناقض «التراجيدي» بين السّلفية الجهاديّة وبين السّلفية العلميّة لا يجعلنا نحجم عن دراسة السّلفية بسبب أنّ الاتجاه المعاكس لهما ليس دليلا على اختلافهما في المناشئ والمنطلقات وطريقة التفكير إذن أن يكون شقّ منه في اتجاه الرّأسمالية والليبرالية ثمّ العولمة المفترسة



هناك السّلفية السلوكيّة وهناك السّلفيّة الفكرية وهناك السّلفيّة المسمّاة اليوم زورا سلفيّة جهاديّة وهناك السّلفيّة العلميّة. ذلك التناقض «التراجيدي» بين السّلفيّة الجهاديّة وبين السّلفيّة العلميّة لا يجعلنا نحجم عن دراسة السّلفيّة بسبب أنّ الاتجاه المعاكس لهما ليس دليلا على اختلافهما في المناشئ والمنطلقات وطريقة التفكير



[14] سورة الشورى الآية 11

المتوحّشة في حين يكون الشقّ الثاني فيه في اتجاه الإشتراكية الشيوعية؟ معنى ذلك هو أنّ اختلاف الاتجاهات لا يحجب النظرة الجامعة. اختلاف الاتجاهات لا يعني اختلاف المنطلقات أبداً. تلك هي النظرة الجزئية التي تكون مسؤولة اليوم عن فقداننا لمنهاج تفكيري قوامه الموضوعية بدل الموضوعية والمقاصدية بدل السطحية والجماعية بدل الفردية والعلمية بدل الخرافية والأسطورية.



وهناك كذلك من زاوية نظر أخرى سلفيات جزئية وأخرى جامعة.

المقصود هنا هو أنّ السلفية ليست سلفية فكرية أو فقهية فحسب ولكن السلفية هي منهاج تفكير قوامه تجميد الفكر الإسلامي أن ينظر إلى الواقع المعاصر في كل زمان وكل مكان نظرة إيجابية بغرض إصلاحه بسنن التدرج التي من مقتضياتها التأجيل والاستثناء. فلا حظ لها من السلفية إلا الدعوى.

المقصود هنا هو أنّ السلفية ليست سلفية فكرية أو فقهية فحسب ولكن السلفية هي منهاج تفكير قوامه تجميد الفكر الإسلامي - والفقه ضرب من ضروب الفكر في حقله التشريعي المباشر والمفصل - أن ينظر إلى الواقع المعاصر في كل زمان وكل مكان نظرة إيجابية بغرض إصلاحه بسنن التدرج التي من مقتضياتها التأجيل والاستثناء وغير ذلك ممّا فعله الفأروق ذلك السلفي القحّ وأي سلفية لا تنهج نهجه الفكري أو الإصلاحي فلا حظ لها من السلفية إلا الدعوى.





هناك ازدواج في الطبيعة التشريعية للإسلام عقلا مزدوجا كذلك أي عقلا يحيط بكل ذلك لمزاولة عملية فرز واسعة لئلا يقع كل شيء في سلة واحدة، فيغدو خليطا لإنسجام فيه. ومشكلة التفكير السلفي هي مشكلة منهجية قوامها عدم الفرز والنظر بعين واحدة هي عين التنفيذ السريع الفوري



السلفية بين الدين والتاريخ والواقع

هذه فقرة مهمة تحت سقف هذا الموضوع. تكمن أهمية هذه الفقرة بسبب أن السلفية هي صنعة ذلك الثلاثي المركب بالضرورة سيما في السلفية الدينية والسلفية الإسلامية خاصة. تعتلج في العادة تلك المركبات الثلاثة لتصنع التفكير السلفي. منشأ ذلك هو أن تلك الأضلاع الثلاثة مركبة بدورها متعددة الأبعاد.

ففي الجانب الديني - مثلا - تلتقى أن الدين - أي الإسلام - وضع إلهي مركب بين القطعي وبين الظني ومركب بين الإلزام وبين غير الإلزام ومركب بين النظر العقلي والنظر القلبي ومركب بين الجماعة وبين الفرد وغير ذلك من المركبات التي تكونه، فليس هو في مستوى واحد لا من حيث القطعية ولا من حيث إفادة العلم ولا من حيث إفادة العمل ولا من حيث التوجه إلى الجماعة أو الفرد ولا من حيث الفورية أو التأجيل. ذلك الإزدواج في الطبيعة التشريعية للإسلام تتطلب عقلا مزدوجا كذلك أي عقلا يحيط بكل ذلك لمزاولة عملية فرز واسعة لئلا يقع كل شيء في سلة واحدة، فيغدو خليطا لإنسجام فيه.

مشكلة التفكير السلفي هنا هي مشكلة منهجية قوامها عدم الفرز وعدم النظر إلى تلك المستويات. أي النظر بعين واحدة هي عين التنفيذ السريع الفوري. الغريب أن الوحي نفسه يعج بما يفيد الفرز



القرآن الكريم
ليست وظيفته
بيان الحلال
والحرام فحسب
ولكن وظيفته
كذلك بيان السلم
العقلي المعتمد
الذي أثمر ذلك
المقصود من ذلك
هو اكتساب ذلك
المنهاج التفكيري
للعمل بالقياس
العقلي المنطقي
وجعل الشريعة
مناسبة لكل
زمان وكل مكان
وكل حال وكل
عرف.



والنَّظر والتَّدبر بمثل ما ورد في آية تحريم الخمر والميسر أو في آية السؤال عن القتال في الشهر الحرام أو في غيرهما من مواضع كثيرة جدًا. القرآن الكريم ليست وظيفته بيان الحلال والحرام فحسب ولكن وظيفته كذلك بيان السلم العقلي المعتمد الذي أثمر ذلك. المقصود من ذلك هو اكتساب ذلك المنهاج التفكيري للعمل بالقياس العقلي المنطقي وجعل الشريعة مناسبة لكل زمان وكل مكان وكل حال وكل عرف ولا تكون كذلك سوى بمراعاة أمور منها رعاية الحاجات والضرورات ورعاية المصالح ورعاية الطَّرائث ورعاية الزَّواجر الحاميات والمبادئ العاصمات. السَّلفية إذن في جملتها تسير في الاتجاه المعاكس للتَّشريع الإسلامي من حيث الفهم ومن ضلَّ الفهم سيضلَّ التَّنزيل حتماً.

أما إذا عالجنا السَّلفية وهي تتعامل مع التَّاريخ، فأول ما يبدو لنا أنَّ السَّلفية في جملتها الغالبة تعتبر التَّاريخ مثلاً أبيض ناصعاً لا مجال للظُّعن فيه ودون تمييز بين تاريخ وآخر وحقبة وأخرى ويفعل ذلك بإسم السَّلف الصَّالح ولا وجود لهذه الكلمة ولا حتَّى لقيمتها المعنويَّة تحت أي مسمَّى آخر لا في الوحي ولا في الخلافة الرَّاشدة، ولكنه تعبير حديث استخدم في علم الكلام من لدن بعضهم لاكتساب شرعيَّة تاريخيَّة في مواجهة خصوم كلاميين آخرين ومنافسين سياسيين أشدَّاء. ماذا لو نظر أولئك إلى تاريخ الفتنة العظمى في المسيرة الإسلاميَّة؟ ردَّ فعلهم الأوَّلي هو : «تلك أعراض طهر الله منها أسيافنا فلنطهر منها ألسنتنا وأقلامنا». ما قولك إذن في أنَّ الذين لم يطهر الله منها أسيافهم هم الصَّحابة المبشَّرون بالجنَّة : فريق بقيادة الأمِّ العظيمة الكريمة عائشة عليها الرِّضوان وفريق بقيادة عليٍّ وفي الفريقين عشرات - بل مئات وآلاف - من الأصحاب وكلَّهم مبشَّرون بالجنَّة، إمَّا بالإسم والتَّعيين أو بما ورد في سورة التَّوبة⁽¹⁵⁾. تجاوز التَّاريخ من لدن أولئك هو تجاوز يعكس

[15] «لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ» سورة التوبة الآية 117

الحرص الفكري في معالجة تلك المتناقضات. أنى لهؤلاء أن يبشروا بالجنة وهم سيتقابلون في الجمل وصفين وغيرهما شاهرين الأسياف في وجوه بعضهم بعضا بل يقتل بعضهم بعضا. ذلك الحرج منشؤه عدم فقه القرآن الكريم نفسه فيما ورد في سورة الحجرات مثلا. فضلا عن كون إدارة الظاهر لدراسة التاريخ لا تعكس سوى التخلي عن الماضي ومن تخلى عن الماضي والتاريخ بالدراسة - حتى ماضي غيره بله ماضيه هو - فقد حجب عن نفسه فرصة صناعة الحاضر والتخطيط للمستقبل.



إن إدارة الظاهر
لدراسة التاريخ
لا تعكس سوى
التخلي عن الماضي
ومن تخلى
عن الماضي
والتاريخ بالدراسة
- حتى ماضي
غيره بله
ماضيه هو - فقد
حجب عن نفسه
فرصة صناعة
الحاضر
والتخطيط
للمستقبل.

قطن أولئك منطقة عذرية التاريخ كله، فأنى لهم أن يؤسسوا للحاضر. أليس الكتاب العزيز الهادي في جزء كبير جدًا منه - ناهز الثلث - هو قصص تقص علينا. قصص مضت واندثر أهلها ولكن القرآن يجعلها قرآنا يتلى ليل نهار، صباح مساء حتى تقوم الساعة. العبرة من ذلك ليست سرًا باطنياً لا يعثر عليه سوى من ادعيت لهم العصمة من الباطنية الضلال. العبرة من ذلك واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. العبرة من ذلك هي أن التاريخ لا بد منه لبناء الحاضر والتخطيط للمستقبل.

الحاصل أن السلفية في جملتها الغالبة اضطربت حيال التاريخ الإسلامي اضطراباً شديداً وذلك عندما أعرضت عن دراسته تأثماً وتحرجاً من أحداث الفتنة الكبرى من جهة ومن جهة أخرى عندما زكته بصكّ أبيض ناصع لماع وجعلت الخوض فيه نيلاً من الصحابة أو من الإسلام أو فسقا أو زندقة أو هرطقة أو عملاً لا طائل منه والزهد فيه أتقى لله.

دعنا نعالج الضلع الثالث أي تعامل السلفية مع الواقع. هو تعامل يغلب عليه الرّفْض والسّخْط. منشأ ذلك الموقف ليس منشأ خاطئاً. بل هو الموقف الصحيح إبتداءً. ولكنّ السّخْط الداخلي فيك شيء وكيفية المعالجة لما تراه منحرفاً شيء آخر. إنّما غلب السّخْط والرّفْض والنّقمة على أولئك فساروا إلى التّكفير والتّفسيق والتّبديع. من مشاكلهم كذلك التي تؤزّهم إلى ذلك هو نظرتهم الاجمالية للأشياء التي حقّها التفصيل. عندما يدعون إلى التّفصيل أي في الأحكام ومقاصدها ومحالها لنلّا يهجروا صواب



الشريعة وموافقاتها .. عندما يدعون إلى ذلك يؤثرون الإجمال فيقعون في الخطأ وعندما يدعون إلى الإجمال في النظر إلى الأشياء للإحاطة بالمشهد من كل زواياه الممكنة يصرون على النظرة الحولية. لذلك تلتفى أن من مشاكلهم المنهاجية فيئهم إلى الإجمال حيث لا بد من التفصيل وفيئهم إلى التفصيل حيث لا بد من الإجمال.



الواقع عند أغلبهم
أسود قاتم ومنحرف
انحرافا شديدا. لا
يمييزون بين انحراف
الناس وانحراف
العلاقات ولا
بين انحراف النظم
وانحراف أصحابها.
أي بين الفاعل
والفعل كما
يقول المناطقية
والأصوليون.
لا ينظرون
في البواعث
والأسباب
والحاجات
والضرورات
والطرائف ولا
ينقبون عن السنن
المسؤولة عن ذلك.



الواقع عند أغلبهم أسود قاتم ومنحرف انحرافا شديدا. لا يمييزون بين انحراف الناس وانحراف العلاقات ولا بين انحراف النظم وانحراف أصحابها. أي بين الفاعل والفعل كما يقول المناطقية والأصوليون. حقهم التروي كثيرا من فروق القراني الذي أبدع في رصد المشتركات والمختلفات بين مئات من الأمور التي يختلط فيها هذا مع ذاك. نظرتهم إلى الواقع لا يمييزون فيها بين الفعل الذي حقه الإدانة وبين الفاعل الذي ليس حقه دوما كذلك. لا ينظرون في البواعث والأسباب والحاجات والضرورات والطرائف ولا ينقبون عن السنن المسؤولة عن ذلك. ذلك التجريد البليد جعلهم يغادرون مناطق كثيرة من الصواب. تجريد وإجمالية وعدم تمييز وعدم نظر في البواعث. يستوي عندهم مثلا من لا يحكم بما أنزل الله سبحانه. يستوي أن يكون كافرا أو فاسقا أو ظالما. يستوي أن يكون حاكما أو محكوما. يستوي أن يكون مكرها أو مشتبها عليه الأمر أو مختارا. يستوي أن يكون المحكوم به واجبا أو أدنى من ذلك. يستوي أن يكون جماعيا أو فرديا. لا بل هي سلّة واحدة لا وجود لغيرها. هو معيار واحد لا وجود لغيره. تستوي عندهم الإخباريات بالمنشآت ثم بالمقررات. تستوي عندهم في الأغلب الأعم العقيدة بالعمل. إذا كانت تلك هي النظرة فإن المعالجة لن تكون سديدة بالحثم المحتوم.

هناك خارطة طريق عاصمة في الشريعة الإسلامية تفرّ منها السلفية إمّا جهلا عند بعضهم أو عنادا وكلاهما متوقّر. خارطة الطريق تلك أساسها زاويتا نظر. زاوية نظر أولى قوامها أن الشريعة الإسلامية مساحات ثلاث هي : الإخباريات الغيبية والمنشآت العملية التعبدية والإقرارات الواقعية. ذلك العلم له إستتبعاته ومنها أن الحقل الإخباري دائر بين الكفر وبين

الإيمان من جهة وأنَّ المطلوب فيه إمَّا التَّصديق أو التَّكذيب من جهة أخرى، ومنها أنَّ حقل المنشآت وأكثرها منشآت تعبدية دائر بين الطَّاعة وبين المعصية وأنَّ الحقل الإقرارى دائر بين الإجتهد وبين التَّقليد بغرض قبوله أو عدم قبوله. التَّسوية بين تلك الحقول الثلاثة أمر مضرٌّ لأنَّه سيجعل معصية الإيمان بمثل معصية العمل وسيجعل طاعة العقيدة بمثل طاعة العبادة والفرق بين الأمرين شاسع جدًا بمثل ما ورد ذلك في الكتاب العزيز الهادي مرَّات ومرَّات ومثله في الحديث الصَّحيح. تداعيات ذلك تداعيات عمليَّة وليست تداعيات عقليَّة فحسب.

ومساحة ثانية تتكون من : ميزان متخصَّص في معالجة قضايا الإيمان والكفر وميزان آخر متخصَّص في معالجة قضايا الطَّاعة والمعصية وميزان ثالث متخصَّص في معالجة قضايا التَّقليد والإجتهد وميزان رابع متخصَّص في معالجة قضايا الحقِّ والباطل وميزان خامس متخصَّص في معالجة قضايا العزيمة والرَّخصة وميزان متخصَّص في معالجة قضايا العدل والجور وغير ذلك من الموازين الشرعيَّة التي لا يجدي معها غير حسن الفقه لأنَّها ستتأثر بالتَّنزيل بالضرورة.

لا تخشى قولك أن الإسلام له موازين متعددة ومكايل متعددة. أنت تخشى ذلك لأنَّ الإعلام المعاصر صنع عقلك على أساس قيمة سلبية لتعدد المكايل فظننت أن كل تعدد كيلى هو بالضرورة ظلم وقهر وإجحاف. تعدد المكايل يكون جورا وقهرا عندما يكون في حقل العدل والجور فحسب. أما في الحقول الأخرى فهو ضروري لا بد منه.

تعدد المكايل يعني أنَّه لكل حقل مكياله. حقل الإلهيات مثلا مكياله الإخباريات التي يقصد بها إقناع العقل وبسط الأمر أمامه ليؤمن أو يكفر حراً مريداً. إذا ما أردت قياس قضية أخرى من مثل قضية التاريخ بذلك المقياس أي مكيال الإخباريات الغيبية المتعلِّقة بالعقائد فلن تظفر بشيء لأنَّك استخدمت مكيالا صحيحا في حقل غير حقله. أكثر التهافت يكون من ذاك. هي حقول لا بدَّ من معرفتها ومعرفة فروعها : حقل العقليَّات نكيل



الشرعيَّة
الإسلاميَّة
مساحات ثلاث
هي : الإخباريات
الغيبية والمنشآت
العملية التعبدية
والإقراءات
الواقعية. التَّسوية
بين تلك الحقول
الثلاثة أمر
مضرٌّ لأنَّه سيجعل
معصية الإيمان
بمثل معصية
العمل وسيجعل
طاعة العقيدة
بمثل طاعة
العبادة والفرق بين
الأمرين شاسع جدًا



به الإلهيات والعقديات وحقل الحسيات نكيل به الماديات وحقل المرويات
نكيل به الإخباريات غير الغيبية أو الغيبية القريبة ممكنة العرفان دون
حاجة إلى وحي سماوي .. إلى آخر ذلك.

لا سبيل إلى اكتساب فهم صحيح للحياة وللإسلام ولا سبيل إلى اكتساب
منهاج إصلاحي معتدل متوسط متوازن متدرج متناسب مع الشريعة
الإسلامية إلا بإحكام النظرة وتعديلها إلى الدين أولاً ثم إلى الواقع ثانياً
ثم إلى التاريخ ثالثاً. هي عناصر معتلجة تتقاطع بالضرورة. ليس هناك
إصلاح إسلامي يغفل عن التاريخ أو عن الواقع. عندها يتعرض لأن يكون
أدنى إلى الإفساد.



تعدد المكايل
يعني أنه لكل
حقل مكياله.
حقل العقليات
نكيل به الإلهيات
والعقديات وحقل
الحسيات نكيل
به الماديات وحقل
المرويات نكيل
به الإخباريات غير
الغيبية أو الغيبية
القريبة ممكنة
العرفان دون
حاجة إلى وحي
سماوي.





تعتمد الفكرة
السلفية
على الدين فحسب
دون الحاجة
إلى التاريخ الذي
احتضن التدين
ليمنحنا تجارب
السابقين
في نصاعتها
وفي سوداويتها
ودون الحاجة
كذلك إلى الواقع
الذي يساعد على
تعميق كثير من
القضايا الدينية
سيما ما يحتاجه
الدعاة من ذلك.



قراءة نقدية للمركبات والمكونات الفكرية للسلفية

(1) قراءة نقدية لمركبات السلفية

مركبات السلفية هي في الأعم الأغلب :

(1) الأحادية التصورية

أي نبذ التعددية البعدية التي تقوم على التّشريح والتّحليل والتّفكيك وغير ذلك من العمليات العقلية التي يقوم بها العقل حتّى في العمليات الصّغيرة والبسيطة التي تحدث لنا في الحياة اليومية العادية. ليس هناك - مثلاً - إهتمام بما انشغل به القرآن الكريم انشغالا ملأه ملأً. ليس هناك إهتمام بالقصة والمثل والسّنة والكون والمقاصد والمآلات وغير ذلك. هناك تركيز كبير جدّاً على التّشريع العملي المجرّد في ساحتي الحلال والحرام. كم يساوي ذلك من حجم القرآن؟ لا يساوي عشر صفحات على أقصى تقدير من أزيد من ستمائة صفحة كاملة.

(2) التجريدية النظرية

أي اعتماد الدّين فحسب دون الحاجة إلى التّاريخ الذي احتضن التّدين ليمنحنا تجارب السّابقين في نصاعتها وفي سوداويتها ودون الحاجة كذلك إلى الواقع الذي يساعد على تعميق كثير من القضايا الدينية سيّما

ما يحتاجه الدعاة من ذلك. الدين لم يتأسس سوى على الفطرة التي هي أسبق منه فهو يستند عليها وليس في ذلك عيب يشين الدين بل هو مفخرة له. الدين تأسس على السنن المودعة في الكون والخلق والإجتماع البشرية من بعد تأسسه على الفطرة. معنى ذلك هو أن الدين معالجة واقعية تليق بالإنسان لأنها تستند على ما فيه من فطرة وجبلة وما يحكمه قهرا من سنن ونواميس. وعندما تهمل السلفية ذلك تقع في القسوة على الإنسان بحسبان أن ما يأتيه من فواحش أمر غريب وعجيب وطارئ وما هو بذلك البتة بل هو من صميم فطرته سوى أن الإسلام هذب تلك الفطرة لا ليقمع الشهوة فيه ولكن ليوفر لها البديل الأطهر فحسب.



من المكونات
الفكرية
السلفية
الموضوعية
والتجزئية
أي أن العقل
السلفي في العادة
يقصر نظره
على موضع واحد
من مواضع الوحي
أو من مواضع
الحياة
أو من مواضع
التاريخ أو من
مواضع الإنسان.



(2) قراءة نقدية للمكونات الفكرية السلفية

أبرز المكونات هي :

1-2 الموضوعية والتجزئية

أي أن العقل السلفي في العادة يقصر نظره على موضع واحد من مواضع الوحي أو من مواضع الحياة أو من مواضع التاريخ أو من مواضع الإنسان. في الإسلام مثلا يتموضع في الجانب الديني فحسب بإهمال واسع وكبير لبقية أجزاء الإسلام الذي لا يعد الدين سوى مخه النابض ولكن هل يشتغل جسم حي بمخ فحسب أو بقلب فحسب. طبعا لا. وفي الدين نفسه عادة ما ينحصر الإهتمام إما على العقيدة أو على العبادة وبإهمال كبير جدا للخلق الذي هو عنوان الرسالة الإسلامية طرّا مطلقا : «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». معنى ذلك هو أن التوحيد الإلهي نفسه خلق من الخلق. ما درجت عليه الأدبيات الفقهية عندما بترت الأخلاق ضمن مباحث مستقلة مفصولة عن أمها العقائدي .. ما درج عليه من مثل ذلك هو ثمرة من ثمرات الانقلاب الأموي الشنيع ضد إرث النبوة في الشورى السياسية وأحقية الأمة بالإمرة والتقرير. ذلك إنقلاب خطير جدا أسس لانقلابات

إرتدادية أخرى كثيرة وكبيرة وخطيرة منها الانقلاب ضد المرأة من لدن الفحولة العربية بسرعة ويسر. لم يكن التدوين الفقهي خيرا كله ليس بسبب أن التدوين لا بد له أن يبخر الأمر المدون أجره فحسب ولكن كذلك لأن التدوين جد في عصر ما بعد الانقلاب الأموي السياسي الشنيع من جهة ومن جهة أخرى لأن التدوين جد في عصر وجود السقف السياسي الأوسع للأمة حتى مع حدوث ذلك الانقلاب. وعندما نتلقى نحن اليوم ذلك التدوين منزوعا من ذينك الاعتبارين ونحن نعيش مرحلة التشطي والتشردم والتفرقة والتجزئة على أوسع نطاق سياسي وإقتصادي وإجتماعي وثقافي .. عندما نتلقى نحن اليوم ذلك دون أن نحين التدوين لنفهمه ضمن مناخاته تلك فإننا نرتكب حماقة كبرى.

2-2 إهمال الإسلام الدنيوي

المقصود بإهمال الإسلام الدنيوي من لدن بعض السلفية هو أن أكثر اهتماماتهم بما هي دينية على الأغلب لا إسلامية جامعة بحسب ما مر بنا آنفا .. أكثر تلك الاهتمامات من لدنهم هي اهتمامات بحال الإنسان مع ربه فحسب دون اهتمام بحاله مع أخيه الإنسان وعندما يقع الاهتمام بحاله مع أخيه الإنسان فإن ذلك الأخ لا يكون بالضرورة إلا الأخ المسلم المؤمن فحسب. ذلك من جهة ومن جهة أخرى يكون ذلك الاهتمام بحال الإنسان من بعد موته فحسب دون اهتمام بالإنسان في حياته. وإذا وقع الاهتمام بحياته قبل موته فإن الاهتمام يبالغ بالجانب التعبدي مع إهمال الجانب الفني مثلا والجانب الذوقي والجانب العلمي والجانب الجماعي وغير ذلك من الانحرافات الكبيرة في مستوى الاهتمام بالإنسان. ذلك هو المقصود بالإسلام الدنيوي أي الاهتمام بالإسلام الذي يوجه الحياة في السياسة والمال والإدارة والعلاقات الخارجية.

2-3 السطحية الفكرية

من الأمثلة على تلك السطحية هو أن أكثر السلفيات الإسلامية اليوم لا تعالج سوى الجانب الشرعي من القيمة اللغوية للكلمة. إذا وقع الظفر



إن أكثر اهتمامات السلفيين هي اهتمامات بحال الإنسان مع ربه فحسب دون اهتمام بحاله مع أخيه الإنسان وعندما يقع الاهتمام بحاله مع أخيه الإنسان فإن ذلك الأخ لا يكون بالضرورة إلا الأخ المسلم المؤمن فحسب.





السطحية
لازمة فكرية
لأغلب السلفيات
المعاصرة.
ومعناها عدم
التدبر
وليس التدبر سوى
النفاذ إلى الأغوار
والأعماق لتعميق
الفهم وتثوير
الفقه وجلب
الإمكانيات
العقلية والنظرية
والخيالية
والعملية وغير
ذلك مما يترى على
العقل.



بالمعنى الشرعي للكلمة فقد حسم الأمر وتجلى. وهو محض الخطأ، ذلك أن الكلمة غالباً ما تحمل معاني ثلاثة : المعنى اللغوي والمعنى الشرعي والمعنى العرفي. وكل نظر فقهي لا يجمع بين تلك الدلالات الثلاث لا يؤمل منه أن يظفر بالحقيقة وبقدر ظفره من تلك الحقيقة يكون صوابه والعكس بالعكس دوماً. ذلك مجرد مثال. ولكن السطحية لازمة فكرية لأغلب السلفيات المعاصرة. السطحية معناها عدم التدبر وليس التدبر سوى النفاذ إلى الأغوار والأعماق لتعميق الفهم وتثوير الفقه وجلب الإمكانيات العقلية والنظرية والخيالية والعملية وغير ذلك مما يترى على العقل. العقل تلك الملكة العجيبة التي ما فضلنا منه سبحانه على كثير ممن خلق إلا بها .. العقل تلك الملكة هو أكبر شيء مظلوم من لدن أغلب السلفيات المعاصرة. المقصود هنا بالعقل البشري القائم على توفير الفرضية ثم اختبارها ثم الإفضاء إلى الحقيقة إستقراء أو إستنباطاً أو تجربة وليس المقصود بالعقل الغريزي الجبلي الذي يعرف به المرء مثلاً أن النار محرقة. من يستقرئ القرآن الكريم يدرك بيسر أن نظمه المتشابه في أكثر مواضعه - تشابه يفيد الأحكام حتى في تشابهه - يدفعك إلى نبذ السطحية نبذاً، ونبذ السطحية يفضي بالضرورة إلى التدبر والتفكير والتأمل. ذلك هو معنى أن أكثر الوحي - أكثره الكاثر بنسبة عالية جداً - هو وحي متشابه لا محكم. الأحكام له معنيان هنا والتشابه كذلك. إحكام في الدلالة وهذا قليل جداً. وإحكام في النظم وهذا هو الموجود المتحدى به ولا وجود لغيره. والتشابه في النظم الإيقاعي وتكرر بعض السياقات والآيات وغير ذلك وهو تشابه يقصد به الإحكام كذلك. والتشابه في الدلالة وهذا هو الأكثر في الوحي كله قرآناً وسنة.

2-4 التقليد والاتباع فيما لا يجوز فيه الاتباع

لو كان التقليد محبوباً ولو بدرجة متدنية جداً لورد الأمر به ولو إستحباباً. بل لو كان محبوباً ولو بدرجة متدنية جداً لأمرنا ولو إستحباباً بتقليد خير الخلق طراً مطلقاً محمد عليه الصلاة والسلام. ما معنى أننا لم نؤمر حتى بتقليده هو عليه الصلاة والسلام. معنى ذلك هو أن التقليد

منبؤ مكره ممقوت ممنوع لا يمت بأي صلة إلى الإسلام إنما هو مع الإسلام على طرفي نقيض. التقليد حرام كما يقول ابن حزم. التقليد ليس هو الاتباع. التقليد هو اتباع المحاكاة أو اتباع الإمعية أو اتباع بجهل. التقليد هو صنعة الببغاوات والقروء. أما الاتباع فهو الموافقة من بعد العقل والفهم والإقتناع. ألا ترى إلى بلقيس وهي تقول : «وأسلمت مع سليمان». تلك هي المعية التي يريد سبجانه. حتى مع الأنبياء أنت خلقت المعية وليس الإمعية. أسلمت مع سليمان وليس وراءه ولا له ولا خلفه. حتى وهي امرأة أسلمت معه جنبا إلى جنب. كأنما أسلما في مكان واحد وزمان واحد وهو غير صحيح. وكأنما هما مستويان قيمة وهو غير صحيح. أغلب السلفية اليوم يقلدون. ومن يقلدون؟ يقلدون الناس من فقهاء وعلماء ومصلحين ودعاة. بل هب أنهم يقلدون الصحابة أنفسهم. أي دليل على تقليد الصحابة أنفسهم. إذا كنا منهيين عن تقليد صاحب الرسالة محمد نفسه عليه الصلاة والسلام فأني لنا أن نقلد غيره وكل من سواه هو دونه بالضرورة وقطعا. حتى مع الصحابة بل مع الخلفاء الراشدين المهديين جاء الحديث - وفيه ضعف ولكن تشهد له أصول أخرى - : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين...». أي عليكم بمنهاجهم الإداري والسياسي بمثل ما ستجري عليه الخلافة الراشدة المهديّة الأولى. هل يفهم من ذلك أحقق أنه علينا اتباع أبي بكر أو عمر أو عثمان أو عليّ اتباعا بمثل ما نتبع محمدا عليه الصلاة والسلام. طبعاً لا. ولكن المقصود هو اتباع السنة التي هي المنهاج الجامع وذلك لأنهم غير معصومين قطعاً. هم يقلدون من دون الصحابة قطعاً. بل يقلدون اليوم من هم دون الأئمة المعروفين. بل يقلدون في فتاوى طواها الزمان والمكان وغابت موجباتها. التقليد آفة سرطانية خبيثة إذا تقلدت عقلاً فإنها تفعل فيه ما يفعله السرطان - عافاكم الله جميعاً وإيانا - بالجسم.

هم أهل الاتباع وغيرهم أهل الابتداع. سبق أن قررنا أنهم لا يميزون. ومن عدم تمييزهم هو عدم تمييزهم بين مساحات الاتباع فيظنون أن كل المساحات معرضة للاتباع وأن الابتداع محرقة دوماً. ذلك وهم واهم.



أغلب السلفية اليوم يقلدون. الناس من فقهاء وعلماء ومصلحين ودعاة. بل يقلدون اليوم من هم دون الأئمة المعروفين. بل يقلدون في فتاوى طواها الزمان والمكان وغابت موجباتها. التقليد آفة سرطانية خبيثة إذا تقلدت عقلاً فإنها تفعل فيه ما يفعله السرطان - عافاكم الله جميعاً وإيانا - بالجسم.





يجب أن تدرس
السلفية من
منظور حمولاتها
العقدية
والفكرية
ومركباتها
النفسية وليس
من حيث اتجاهاتها
أو تعابيرها
وخطاباتها.
هذه يمكن
أن تلتقي ويمكن
أن تختلف. ولكن
تلك الحمولات
الثقافية هي
واحدة لا تتغير



الاتباع المطلوب هو في الدين فحسب. والدين ليس كل الإسلام ولكنه الجزء التوقيفي من الإسلام. الاتباع هو فيما لا يتغير فحسب وما لا يتغير هو في العقائد والعبادات والأخلاق وما سمي معلوما من الدين بالضرورة وهو قليل جدًا من الناحية الكمية. لم لم يتبع الصحابة إذن وبإجماع منهم ما فعله عليه الصلاة والسلام في شأن ضوال الإبل إذ ابتدع عثمان لها طريقة أخرى وفي شأن آذان الجمعة والتراويح والتأريخ والدواوين والسكة والعملية والبريد والسجون وتخمين الغنائم والأفياء ومصرف المؤلفات قلوبهم وغير ذلك مما لا يحسن الانبساط فيه هنا لخروجه عن موضوعنا ولفرط طوله.

لا يميز السلفيون بين مساحتي الاتباع والابتداع. كلاهما مطلوب ولكن عندما يحرم المرء فقه الحقل كما مر بنا منذ قليل فإنه يتيه بين الحقول التي تتطلب مكيالا خاصا بكل واحدة منها. ظنوا أن البدعة تخرج عن الدين إلى الدنيا فظنوا يتوسعون في تبديع الناس.

2-5 ثقل الشعور بالمحنة والحركة على ذلك الأساس

كما يغلب على أكثرهم خطاب المحنة المفضي بالضرورة إلى النياحة على الماضي وندب الخدود أسفا على ذلك وشق الجيوب. يلتقون هنا في هذه الجزئية مع الشيعة. ولكن في اتجاه معاكس. ذلك هو مخ المعنى المقرر في صدر هذا الكتاب وقوامه أن السلفيات سلفية واحدة حتى عندما تتعارض اتجاهاتها تعارضا جذريا كاملا. السلفية ما يجب أن تدرس إلا منظورا إليها من حيث حمولاتها العقدية والفكرية ومركباتها النفسية وليس من حيث اتجاهاتها أو تعابيرها وخطاباتها. هذه يمكن أن تلتقي ويمكن أن تختلف. ولكن تلك الحمولات الثقافية هي واحدة لا تتغير. الشيعة يملؤون الدنيا نياحة على آل البيت والحسين عليه الرضوان ومأساة كربلاء وغير ذلك مما هو معروف ولكن الشيعة هنا أذكى من السلفية ذلك أن الشيعة يستدرّون بذلك العطف ومعلوم أن لزوم المظلومية والنحيب والبكائيات يستدرّ عطف الناس ويشدّهم إلى تلك المأساة بالليل والنهار ومن عادة الناس أنهم لا ينظرون إلى سيئات المظلوم فكيف إذا كان مظلوما

في آل البيت النبوي. هم من هذا الجانب أذكياء. أمّا السلفية فإنهم يزاولون فكر المحنة بكرلائية أخرى جديدة إسمها: إندياح الابتداع في الدين ومخالفة السنة وغير ذلك من المنكورات العامة التي لا تجد لها رصيда عند التحقيق العلمي أو التاريخي من جهة أو أنّها منكورات صغيرة يتجيشون لها ويحتشدون في معارك ضارية من مثل العراء النسوي والربا والمكوس وغير ذلك ممّا لا يحارب في ذاته لأنّه ليس سوى لأجل غيره نَمى وإنّادح فهو ثمرة ونتيجة ولم يكن يوما سببا وعلة. هذا موضوع أصل اتصاله هو بالدعوة وفقهها ولكن دعنا من تنكّب منهاج الدعوة لأنّ من يتنكّب منهاج فهم الإسلام سيتنكّب منهاج الدعوة إلى الإسلام بالضرورة. أي فرق تجده بين كربلائية الشيعة وكربلائية السلفية. كربلائية نياحة وندب وشقّ وبكائيات حزن ولكن في إتجاه معاكس. هذا يدندن حول مقتل الحسين وذلك حول مقتل السنة. الحياة حالكة عند الفريقين سوداء قاتمة. ما يخرج به الناس من بعد العرض هو أنّ الحياة لا سبيل لإصلاحها وإذا كان لا بدّ من إصلاح فبالتكفير بالجملة وبالتفجير بالجملة. سوى أنّ الشيعة لفرط تعصّبهم - وهو من زاوية نظر ما تعصّب إيجابى - يستخدمون تلك الكربلائية إستخداما إستدرايّا للعطف العربي والإسلامي والدولي.

2-6 عدم إعتبار الرأى العام والسلطة الشعبية وخلق في الحاكمية والشرعية والمشروعية.

هناك خلط شنيع عندما يتعلق الأمر بالحاكمية والشرعية والمشروعية. لا تهملنا الآن تفاصيل ذلك الخلط لأنّه خلط لا تلفاه هنا فحسب ولكنّه خلط يحمل معه جرثومته أينما حلّ وفي أيّ حقل كان يعالج الأمور. الذي يهملنا هنا هو أنّ ذلك الخلط منشؤه عدم إعتبار الإنسان في الحركة الإسلامية لا بمعناها التقليدي المعروف ولكن المقصود بالحركة هنا هي حركة الإنسان بالإسلام فوق الأرض. تلك هي الحركة الأصلية وهي أصل الحركة الإسلامية المعروفة تقليديًا. عدم إعتبار الإنسان ينمّ عن عدم فقه لعقيدة القضاء والقدر. عقيدة القضاء والقدر عندي هي الباعث لنا على إعتبار الإنسان لأنّ مخّ تلك العقيدة هو توفير المعادلة المتوازنة بين إرادة



أي فرق تجده
بين كربلائية
الشيعة
وكربلائية
السلفية.
كربلائية
نياحة وندب وشق
وبكائيات حزن
ولكن في إتجاه
معاكس. هذا
يدندن حول مقتل
الحسين وذلك
حول مقتل السنة.
الحياة حالكة
عند الفريقين
سوداء قاتمة
لا سبيل لإصلاحها
وإذا كان لا بد من
إصلاح فبالتكفير
بالجملة
وبالتفجير
بالجملة.





الإنسان عند
السلفية المعاصرة
لا وزن له فهو
في الأغلب كائن
مسير لا مكان له
في التخيير. الإيمان
بالقضاء والقدر
عندهم إستسلام
يجعل الإنسان
ريشة في مهب
الريح ولم يكن
إيمانها بعقيدة
القضاء والقدر
إيماناً مبناه الفقه
والعلم والنظر
والتدبر والتفكير



الله سبحانه ومشيتته من جانب وبين حرية الإنسان ومشيتته وإرادته كذلك من جانب آخر. إذا كانت تلك العقدية قد ضلّ فيها بعض ممّن جاء قبلنا ممّن أشرت إليهم في الإبان في مقدمة هذا الكتاب من مثل القدرية والمرجئة وغيرهم .. فإنّ السلفية - سيّما المعاصرة منها - لم يكن إيمانها بعقيدة القضاء والقدر إيماناً مبناه الفقه والعلم والنظر والتدبر والتفكير وليت شعري لا سبيل إلى فقه عقائد الإسلام كلّها دون ذلك. الإيمان بالقضاء والقدر عندهم إستسلام يجعل الإنسان ريشة في مهبّ الريح. قل لأحدهم أنّ ابن القيم قال : «المؤمن الحقّ هو من يحارب قدراً بقدر». ليس هو وحده من قال ذلك إنّما قالها معه عبد القادر الجيلاني قديماً والمفكر الشهير المعاصر محمد إقبال. هما يستخلصان ذلك من فقه الفاروق الذي قال في شأن الأرض التي إنداح فيها الطّاعون : «نفر من قدر الله إلى قدر الله». أولئك كلّهم يستنبطون ذلك من الحديث الصحيح الذي علّمنا عقيدة القضاء والقدر تعليمًا صحيحًا وهو : «هي من قدر الله» وذلك عندما سئل عن هذه الأدوية التي نتداوى بها هل تردّ من قدر الله من شيء. أن يكون الإنسان قدراً من قدر الرّحمان سبحانه وأن يكون سبباً من أسبابه وسنة من سننه .. أن يكون الإنسان كذلك هو مخّ عقيدة القضاء والقدر. أن يكون الأمر كذلك لا يكون بالمحصلة إلّا أمراً يستعصي على من دأبوا على نبذ التفكير والتأمل والتدبر ومن دأبوا على نزع الإنسان منزلته ودوره بحسبانه ليس له أيّ مشيئة. المشكلة هي تلك الثنائية التي جعلتهم - وجعلت كثيراً من أصحاب التدين التقليدي الخرافي الأسطوري - لا يوفّرون العلاقة الصحيحة بين مشيئة الله سبحانه ومشيتته عبده. مشيئة الله هي التي منحت العبد مشيئته حرّاً مريداً مختاراً وذلك حتّى يكون أهلاً للمسؤوليّة ثمّ من بعد ذلك أهلاً للمحاسبة والمساءلة.

المهم هنا هو أنّ الإنسان عند السلفية المعاصرة لا وزن له فهو في الأغلب كائن مسير لا مكان له في التخيير. هو ريشة في مهبّ الريح. والله تعالى يمنحه حرية المشيئة كاملة عندما يتعلّق الأمر بالمسؤوليّة العظيمة التي يترتّب عليها حساب أعظم ومساءلة كبرى وذلك في سورة مكية هي سورة

الكهف : «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ» (16).

من لم يصل إلى هذه الدرجة التي تجعله يعتقد أن الإنسان قدر من أقداره سبحانه وهو سبب من أسبابه وهو سنة من سننه .. هو كذلك يعتلج مع تلك الأقدار والسنن والأسباب فلا هو ريشة في مهب تلك الأقدار والسنن والأسباب ولا هو حاكم عليها يسيرها ويملكها .. من لم يصل إلى ذلك الفقه في عقيدة القضاء والقدر فلا حظ له من عقيدة القضاء والقدر.

النتيجة الطبيعية من ذلك هي نبذ الإنسان ومن ثم نبذ الأمة والشعب والمجتمع. ولذلك يضطربون كثيرا في قضية الحاكمية وقضية الأقلية والأكثرية بحسبانهم أن الأقلية دوما هي محل المدح الإلهي ويخلطون في ذلك بين أقلية عقدية وبين أقلية سياسية. الأقلية العقدية هي كذلك إرادة إلهية ومشية رحمانية وليس حبا منه سبحانه أن يظل الناس في أكثرهم غير مؤمنين في حين أن الأقلية السياسية لها إعتبارها مهما كانت تلك الأقلية مخالفة أو قليلة العدد. هي مشكلة سحب القانون من حقل إلى آخر دون علم وفقه. تلك هي المشكلة. هي مشكلة معالجة الحقول كلها بمفتاح واحد. تلك هي المشكلة التي ربما يحسن قلبي هنا تحريرها.

لذلك تراهم يتبرمون من الحريات والديمقراطية بحسبان ذلك حكم الشعب وحكم الشعب هو نقيض حكم الله. هل يميز أولئك بين حكم الله القدري الكوني وبين حكم الله الشرعي. إلا قليلا من قليل من قليل. حكم الله وحكم الشعب عندهم خطان متوازيان لا يلتقيان فإما حكم الله وإما حكم الشعب. لا. ذلك محض الخطأ. حكم الله كائن تام ماض سننيا وسببيا وقدريا وكونيا، أما شرعيا فهو يمضي من بعد قبوله من لدن المؤمن أو المؤمنين ولا يمضي عند رفضه من الناس من غيرهم. حكم



النتيجة الطبيعية
لرؤية السلفية
للإنسان هي نبذه
ومن ثم نبذ الأمة
والشعب والمجتمع.
ولذلك يضطربون
كثيرا في قضية
الحاكمية
وقضية الأقلية
والأكثرية
بحسبانهم
أن الأقلية دوما
هي محل المدح
الإلهي ويخلطون
في ذلك بين أقلية
عقدية وبين أقلية
سياسية.





إن حكم الشعب هو حكم الله نفسه فإذا كان الشعب مسلماً فإنه لن يختار غير الإسلام وذلك هو ما يحبه الله وإذا كان الشعب غير مسلم ولن يختار حكم الله - أي حكم الإسلام - إلا إذا اهتدى إليه فإن حكم ذلك الشعب هو كذلك حكم الله لأنه حكم أرادته سبحانه وشاءه حتى وهو لا يحبه.



الشَّعْب لا يناقض حكم الله لأنَّ الله تعالى منح الشَّعْب حرَّيته في دينه وعقيدته. عندما يحكم شعب بغير ما أنزل الله - وهذا محال في الشُّعوب العربيَّة والإسلاميَّة. هل محال مقطوع به بالتَّجربة التَّاريخيَّة - فلا يعني ذلك أنَّ حكم الله تعطلَّ دون مشيئة منه بل يعني ذلك أنَّه شاء ذلك. ألم يخبرنا سبحانه في سورة التَّغَابُن : «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ»⁽¹⁷⁾. الكلمة الحاسمة في هذه القضية التي لا نورد لها إلا مثالا وليس بحثا هي أنَّ حكم الشَّعْب هو حكم الله نفسه فإذا كان الشَّعْب مسلما فإنه لن يختار غير الإسلام وذلك هو ما يحبه الله - يحبه وليس يشاؤه فحسب أو يريده فحسب - وإذا كان الشَّعْب غير مسلم ولن يختار حكم الله - أي حكم الإسلام - إلا إذا اهتدى إليه فإنَّ حكم ذلك الشَّعْب هو كذلك حكم الله لأنَّه حكم أرادته سبحانه وشاءه حتى وهو لا يحبه. عدم التَّمييز بين المشيئة وبين الرِّضى في جنبه سبحانه هو الذي أوقعهم في مثل تلك المطبَّات.

عندما يعدم أولئك حكم الله فإنَّهم يعدمون هديَّة الحرِّية الرِّحمانِيَّة الرِّبانيَّة الإلهيَّة الغالية جدًّا ومن يعدم تلك والله سبحانه هو الذي من بها من عنده لإمضاء سنن الابتلاء والحركة ومن ثمَّ المسؤوليَّة والمحاسبة .. من يعدم ذلك يعتدي من حيث لا يعلم على حقِّ الله سبحانه وعلى حقِّ البشريَّة.

تلك هي بعض مكونات التَّفكير السِّلفي المعاصر.

[17] سورة التَّغَابُن الآية 2

السنة النبوية تتكفل بعرض السلفية وبمعالجتها



كثيرة هي الأحاديث التي تتعرض للسلفية غير المرحب بها من لدن الإسلام أي السلفية المغادرة لمنطقة الإجتهااد والتي يتبناها جزء من الأمة يغالون في التعبد والتدين إما ذات اليمين أو ذات الشمال وغلوهم ذاك يفضي بهم بالضرورة إلى التحريف.



كثيرة هي الأحاديث التي تتعرض للسلفية غير المرحب بها من لدن الإسلام أي السلفية المغادرة لمنطقة الإجتهااد بمثل ما يرسمه الإسلام، أي الإجتهااد - نسّميه إجتهاادا وإن كان في أكثر معطياته لا يحمل معنى الإجتهااد - الخارق لأصول الإجتهااد. وربما حسبنا من ذلك هنا حديثان.

1 - « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله : ينفون عنه تحريف الغالين وتأويل الجاهلين وإنتحال المبطلين »⁽¹⁸⁾. يعلّمنا فيه عليه الصّلاة والسّلام أنّ الأمّة في أغلب مراحلها تتكوّن بالضرورة من تلك الفئات الأربع، أي فئة العدول المتوسّطين المعتدلين للمسكين للميزان مع الكتاب لا يقدّمون هذا على ذاك ولا ذاك عن هذا. وهي الفئة التي عليها أغلب أبناء الأمّة وبناتها حتّى في حالات مرض الأمّة وهوانها وتراجعها. هي الفئة الوسطيّة في الأمّة وهي فئة الميزان وهي فئة العدل والإعتدال. وهي الفئة المسؤولّة عن الفئات الثلاث الأخرى. الذي يهمّنا هنا هي فئة السلفيّة التي عبّر عنها عليه الصّلاة والسّلام بـ: «الغالين المحرّفين». يعلّمنا أنّ جزء من الأمّة يغالون في التعبد والتدين إمّا ذات اليمين أو ذات الشمال وغلوهم ذاك يفضي بهم

[18] حديث صحيح عند بعض أهل السنن، رواه البيهقي عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري،

تحقيق العلامة الألباني / مشكاة المصابيح كتاب العلم الفصل الأول الجزء 1 ص / 53



الحدود
عند السلفين
هي الحدود
الجنائية العقابية
الجزائية
وهو خطأ بين فادح
لأن الحدود
في الإسلام
هي المواضع التي هي
أعلى من المحرمات
فهي المواضع
المتعلقة في أغلبها
الغالب بالأسرة
والمرأة والطلاق
وغير ذلك.



بالضرورة إلى التحريف. التحريف معناه إما زيادة أو نقصان. أي زيادة في الدين بما لم يأذن به الله سبحانه من مثل محاولة السلفيين اليوم تبديع كثير من الأمور الدنيوية التي لا صلة لها بالدين من مثل الإحتفال بالمولد النبوي الشريف وغير ذلك من العادات والتقاليد والأعراف التي تتخذها الشعوب والمجتمعات. أو نقصاناً من الدين وذلك بنبذ الإهتمام بالإنسان في حياته وتحدياته التي تطحنه وهو نقصان أدى بهم إلى نقض الثورات التي جاء بها الربيع العربي المعاصر. المغالي لا بد أن يتورط إما في الزيادة أو في النقصان أي في التحريف. من معاني التحريف كذلك توريم أمور صغرها الإسلام من مثل الإسراء وتصغير أمور أخرى كبرها الإسلام من مثل وحدة الجماعة مهما كانت متنوعة متعددة مختلفة. هي فئات ثلاث تتكافل على التحريف ولكن من منطلقات مختلفة وفي اتجاهات مختلفة ولكن مهمة العدول - الذين هم بمثل الملح في الطعام - هي مهمة القيادة والتوجيه والشهادة. الأمة شاهدة على الأمم من حولها والعدول المبرؤون من تحريف الغالين وإنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين شاهدون على الأمة. إمام العدول هو محمد عليه الصلاة والسلام فهو الشاهد الأول ويخلفه العدول في ذلك ولذلك قال : يحمل هذا العلم .. أي يحمل الرسالة من بعدي لأن رسالته هي رسالة التعليم : «ويعلمهم الكتاب والحكمة».

2 - « إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحدّ حدوداً فلا تعتدوها وحرّم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»⁽¹⁹⁾. يعلمنا الحديث أنّ الإسلام أربعة أرباع : ربع للفرائض التي لا يجب تضييعها ولكن يجب إتيانها ولا شك أنّ السلفيين اليوم لا تكون الفرائض عندهم إلاّ العينية أما الفرائض الكفائية فلا حظ لها عندهم إلاّ قليلاً. وربع للحدود والحدود عندهم هي الحدود الجنائية العقابية الجزائية وهو خطأ بين فادح لأنّ الحدود في الإسلام هي المواضع التي هي أعلى من

[19] حديث صحيح رواه الدارقطني

المحرّمات، فهي المواضع المتعلّقة في أغلبها بالغالب بالأسرة والمرأة والطلاق وغير ذلك. وربيع للمحرّمات وهي المعروفة. وربيع رابع أخير للمسكوت عنه أو منطقة العفو أو الخلوّ التشريعي كما يعبر عن ذلك بعضهم. عقدة السلفيين اليوم هي التفريط في حسن فقه الفرائض سيّما الكفائيّة منها والمحرّمات سيّما في معرفة مقاصدها للتّعدية عند الحاجة قياسا لتتمّ صلاحية الشريعة ومنها الحدود التي لا يفهمونها حقّ الفهم. تلك هي عقدهم في حين أنّهم يركّزون اهتماما كبيرا جدّا على الرّبع الذي ما أمرنا فيه سوى بالصّمت وليس السّؤال. هو ربيع المسكوت عنه. أمر مزعج والله. أمر مقرف عندما يأمرنا سبحانه بالصّمت والسّكوت في هذا الرّبع ولكن تلفاهم ينكفؤون عليه متهاطلين يسألون عن أشياء قال فيها سبحانه : «إن تبد لكم تسؤكم». عجيب منهم هذا الأمر وربّ الكعبة. تعرّضت إلى مثل تلك الأسئلة المنهي عنها بمقتضى هذا الحديث بسبيل مهنة الإمامة التي أزاولها إلى مئات مئنة وربّ الكعبة. ولن أزال أتعرّض ويتعرّض غيري لها. أليس ذلك عصيان ظاهر. أجل. هو عصيان ولكنّه عصيان فكريّ وأخطر المعاصي معاصي الفكر. معاصي الفكر تفضي إلى الشّبهة وهم يدندنون حول الشّبهة ويتّهمون غيرهم بالشّبهة. هوايتهم اتّهام غيرهم بالشّبهة في العقيدة لأنّه لا يفوض أو يؤول أو غير ذلك واتّهام غيرهم بالبدعة في الطّاعة ولا يميّزون بين مراتب البدعة وخاصّة البدعة في الدّنيا والبدعة في الدّين إذ تكون الأولى مطلوبة دون ريب وتكون الأخرى ممنوعة دون ريب ولكن في المصوّرات والمقولات والمهيئات والمجسّمات وغير ذلك ممّا لا يدخله الاجتهاد.

أجل. البدعة الدّنيويّة مطلوبة لقوله عليه الصّلاة والسلام : «من سنّ سنّة حسنة في الإسلام فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيّئة في الإسلام فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». السنّة هنا هي الطّريق والمنهج وليس التّفصيل. ولو كان تفصيلا لكان مطلوبا كذلك في الدّنيا لا في الدّين. ها هو بنفسه يقول أنّ من يسنّ سنّة حسنة في الإسلام فهو محسن وله أجر من عمل بتلك البدعة الحسنة إلى يوم القيامة. ليت شعري هل نطيعكم أنتم أم نطيعه هو.



لا يميّز
السلفيون
بين مراتب البدعة
وخاصّة البدعة
في الدّنيا والبدعة
في الدّين إذ تكون
الأولى مطلوبة
دون ريب وتكون
الأخرى ممنوعة
دون ريب ولكن
في المصوّرات
والمقولات والمهيئات
والمجسّمات
وغير ذلك ممّا لا
يدخله الاجتهاد.





من القوانين
الفكرية
للسلفية
السؤال ومقصود
منه أنهم لا يتبعون
المنهاج العقدي
الإبراهيمي
والموسوي القائم
على السؤال الذي
نعه نحن اليوم
هرطقة وزندقة
أو شيئاً قريباً من
الريبة والشك وهو
في الجملة أبغض
سؤال عند المشايخ
والعلماء والفقهاء
ومن يتصدرون
المشهد الديني اليوم



الكشف عن قوانينها الفكرية

الكشف عن القوانين الفكرية التي هي مسؤولة عن صياغة المنهاج التفكير السلفي أمر مهم جداً بل هو في الحقيقة أهم من البحث في المكونات الفكرية نفسها وكذا في المركبات آنفة الذكر.

من تلك القوانين الحاكمة :

هذه السلسلة

نبذ السؤال مقصود منه أنهم لا يتبعون المنهاج العقدي الإبراهيمي والموسوي - عليهما السلام - وذلك عندما رأى إبراهيم عليه السلام أن إيمانه بربه لن يتعمق ويكون مبناه العلم والفقه حتى يسأل ربه ذلك السؤال الذي نعه نحن اليوم هرطقة وزندقة أو شيئاً قريباً من الريبة والشك وهو في الجملة أبغض سؤال عند المشايخ والعلماء والفقهاء ومن يتصدرون المشهد الديني اليوم. قال لربه : «رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى»⁽²⁰⁾. ومثله - بل أشد منه - موسى عليه السلام وذلك عندما سأل ربه سبحانه : «رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ»⁽²¹⁾. من يتجرأ منا نحن اليوم على سؤال مثل ذلك.

[20] سورة البقرة - الآية 260

[21] سورة الأعراف - الآية 143

محمد عليه الصّلاة والسّلام قال: «نحن أولى بالشك من إبراهيم». كلمات الشكّ وما هو قريب منها كلمات مستهجنة عندنا كثيرا ولا نريد سماعها لفرط غربتنا عن اللّغة العربيّة التي بها تحلّى الكتاب العزيز الهادي وكان بها تحدّيه الأعظم وهو تحدّ مازال قائما ولفرط ما تربّينا عليه من ثقافة تلقينيّة عمادها: أغمض عينيك واتّبعني. إذا كان السّؤال في الإسلام قد وصل إلى حدّ العقيدة وقيل من أولى العزم من الرّسل ولم يستقبل ربّك سبحانه ذلك إلّا بالترحيب وبادر إلى الإستجابة.. إذا كان ذلك هو موقع السّؤال في الإسلام فإنّنا نحن اليوم لا نسأل حتّى عمّا هو أدنى من ذلك بكثير. نحن اليوم لا نسأل حتّى عن حكمة تحليل كذا أو تحريم كذا. السّؤال بصفة عامّة في هذا الحقل سيّما العقدي منه هو عند أكثر السّلفية المعاصرة اليوم ضرب من ضروب الزّندقة والهرطقة وهو غير مرّحب به. أنّى للإيمان من بعد ذلك إذن أن يبني على قواعد متينة صلبة من العلم والفقه. فاقد الشّيء لا يعطيه.

فهم الأصول

تعرّضنا إلى سلفيّة ابن حزم في نبذ التّعليل. ابن حزم سلفيّ المنهج ولكنّه ذكيّ ذكاء خارقا وهو يستخدم ملكاته العقليّة الكبيرة جدّا ولكنّه - ربّما عنادا منه - لا يسمّيها قياسا وهي مخّ القياس. التّعليل في الشّريعة الإسلاميّة هو منهاج قرآنيّ قحّ كما مرّ بنا في آيات كثيرة منها تحريم الخمر والميسر والقتال في الشّهر الحرام وتوزيع أموال الأفياء والغنائم وتحريم الرّبا وقد عدّ ابن القيم من ذلك زهاء ألف موضع في الكتاب العزيز الهادي فحسب ثمّ ترك الأمر لعلمه بالتّجربة الإستقرائيّة التي قام بها هو بنفسه أنّ الكتاب العزيز الهادي مبناه التّعليل والاستصلاح ولذلك بنى الإمام مالك مذهبه على الاستصلاح وبنى الإمام أبو حنيفة مذهبه على



من القوانين
الفكريّة
للسّلفيّة نبذ
التّعليل
وكلمات العقل
والمنطق
وما في حكمهما
كلمات
غير مرّحب بها في
الدائرة السّلفيّة.
يجتهدون كثيرا
جدا لألغاء دور
العقل في الفهم
والحذق والفقه.



[22] حديث صحيح أخرجه الشيخان عن أبي هريرة



أشد ما يؤسف
له عند السلفية
المعاصرة هو
نبذها للتحديات
العقدية المعاصرة
وركونها إلى
تحديات عقدية
قديمة عتيقة
لم يعد لها محل
اليوم. هي تحديات
كلامية كان
سببها الهجوم
اليوناني الذي
كان هو أصل علم
الكلام ونشؤه
عندنا كما أكد
ذلك عضد الدين
الإيجي وغيره.



الاستحسان وإستخدام الأئمة كلهم تقريبا القياس والمصادر الاستصلاحية والاستحسانية وغيرها في اجتهاداتهم. والحقيقة أنّ من ينبذ التعليل في الشريعة لا حظّ له من حسن فقها ولذا قال العلامة ابن خلدون كلمة لا يرحّب بها السلفيون اليوم إلّا قليلا : «أصول الفقه منطق الإسلام». كلمات العقل والمنطق وما في حكمهما كلمات غير مرحّب بها في الدائرة السلفية. يجتهدون كثيرا جدًا لإلغاء دور العقل في الفهم والحدق والفقه. كثير ممّا كتبه الفيلسوف المغربي الشهير محمد عابد الجابري في مشروعه نقد العقل العربي .. كثير ما كتبه عن العقل البياني - أي العقل السلفي - صحيح. ليس كل ما انتهى إليه - عليه رحمة الله سبحانه - صحيحا ولكن كثيرا منه صحيح. العقول عنده 3 : عقل برهانيّ وعقل بيانيّ وعقل إلهاميّ. أي عقل أصولي فقهي قياسي منطقي وهو العقل الإسلامي الذي يتوخّى المنهاج الإسلامي بمثل ما جاء في الكتاب والسنة وعقل بياني يعتمد التشريعات الإنشائية التي تعتمد التحليلات البيانية دون إضافات ولا نقود ولا مراجعات وهو عقل إسلامي تقليدي وعقل إلهامي هو عقل الصوفية. من ينبذ التعليل اليوم لا حظّ له في الدعوة سيّما في الصّف الغربي والصّف المثقّف والمتعلّم.

نبذ التحديات العقدية المعاصرة

أشدّ ما يؤسف له عند السلفية المعاصرة هو نبذها للتحديات العقدية المعاصرة وركونها إلى تحديات عقدية أكل عليها الدهر وشرب. تحديات قديمة عتيقة لم يعد لها محلّ اليوم. هي تحديات كلامية كان سببها الهجوم اليوناني الذي كان هو أصل علم الكلام ونشؤه عندنا كما أكد ذلك عضد الدين الإيجي وغيره. الغريب المحيّر هو أنّ تلك التحديات الكلامية يستدعونها اليوم من مثل صفات الله سبحانه وغير ذلك بين التأويل والتعطيل والتشبيه والتجسيم وغير ذلك وفي الآن نفسه تجدهم يتبرّمون من علم الكلام ويرمونهم وأهله - سيّما الأشاعرة الذين هم باتّفاق علماء الإسلام وفقهائه من قديم ومن حديث التعبير الكلامي عن أهل السنة والجماعة من مثل الغزالي والباقلاني وابن رشد وغيرهم من جهابذة الفكر

الإسلامي - بالشبهة وغير ذلك ممّا لا يعلمون منه شيئاً عند التحقيق. أنّى يكون ذلك مع ذلك. أنّى لهم أن ينفذوا هجومات حادّة جدّاً لا أدب فيها ولا خلق ضد علماء الإسلام بحسبانهم مبتدعين وفي الآن نفسه يلوكون تلك القضايا الكلاميّة بزعمهم أنّهم مفوّضون في تلك القضايا أو فارّين من التّأويل. هو الجهل وليس غير الجهل فإن أبوا الجهل فهو الغرور. أجل. لم أجد ذلك إلاّ عند جاهل لا يعلم عن علم الكلام شيئاً فهو يخطب خطب عشواء. أو عند غرّ مغرور يريد التّخلص من عقدة نقص حادّة فيه.

التّحديات العقديّة لا تبقى على صورة واحدة من زمان لزمان ومن مكان لمكان. تلك هي طبيعة الدّنيا كما خلقها سبحانه. هناك اليوم تحدّيات عقديّة كبيرة وخطيرة يجب التّصدي لها عقديّاً وكلاميّاً وفلسفيّاً لأنّها قضايا فلسفيّة وأبرزها العقل المادّي الغربي وبناته اللّائي لا يحصين من مثل العالمية الجزئيّة والعالميّة الشّاملة ومن مثل العولمة نفسها ومن مثل الرّأسماليّة الجشعة المتوحّشة ومن مثل الاشتراكيّة التي بها تؤمّم الدّولة أطعمة النّاس وأشربتهم وغير ذلك.

السّلفيون اليوم لا يعرفون من ذلك إلاّ نذراً قليلاً جدّاً وذلك لاندياح المقولة فيها : الكفر ملّة واحدة. هو ملّة واحدة وهم لا يبادرون إلى معرفة تلك الملّة الواحدة ليكتشفوا أنّها ليست ملّة واحدة كما يتوهّمون. وعندما يستعصي عليهم فقه ذلك ينقلبون إلى معالجة تحدّيات عقديّة سالفة لم يعد لها اليوم وجود.

يسكنون الماضي بأنّهم معاني الكلمة. يقطنون التّاريخ البعيد بأنّهم معاني الكلمة. تلك هي عقدة كبيرة من عقدهم النّفسيّة.

نبذ التّعدد وخاصّة الصّوفيّة

نبذ التّعدد عندهم سمة مميّزة معروفة. التّعدد الدّيني نفسه الذي اعترف به القرآن الكريم نفسه، اعتراف وجود وحقّ في الحياة وفق تلك العقيدة حتّى وهو يعتبرها كفراً. وليس اعتراف مشروعيّة دينيّة. أنّى لهم بالعقل الضّيق أن يجمعوا بين الأمرين : اعتراف الإسلام بالتّعددية الدّينية اعتراف



نبذ التعدد عند
السلفيين سمة
مميّزة معروفة.
خصوصاً متهم
العنفية جداً
مع الصوفيّة هي
المظهر الأبرز في
رفض التعدد.
فهم لا يفرقون بين
المدارس الصوفيّة.
هي صوفيّة واحدة
كافرة زنديقة
هرطقة.
كل صوفيّة
هي صوفيّة
مبتدعة وكفى.



وجود وحق في الحياة وفق تلك العقائد من جهة وليس اعتراف مشروعية دينية من جهة أخرى. عدم قدرتهم على اكتساب العقل المركب هو المسؤول عن ذلك. ذلك هو معنى الأحادية عندهم. إمّا وإمّا .. أن يجتمع أمران فلا.

لكن خصومتهم العنيفة جدًا مع الصوفية هي المظهر الأبرز في رفض التعدد. لا يميزون بين صوفية إسلامية معتدلة قوامها التزكية والتربية مع تقديم الشريعة الإسلامية على الإلهامات والمنامات وغير ذلك حتى لو ترافق ذلك مع هجران طفيف للمجتمع أو غفلة عن تحدياته التي تفترسه من مثل الجوع والمرض والفقر والتخلف والاحتلال والتجزئة وغير ذلك وبين صوفية فلسفية من مشكاة الحلاج وغيره. عدم التمييز بين الأمور هي عقدة من عقدهم الغائرة. كل شيء في كيس واحد. هي صوفية واحدة كافرة زنديقة هرطيقة وكفى الله المؤمنين القتال. كل صوفية هي صوفية مبتدعة وكفى.

بمثل أننا لا نقر الصوفية الفلسفية التي تمرق من الشريعة - على طريقة الحلاج وغيره - لا نقر السلفية التي تجعل الشريعة آلة حادة صماء خرساء لا تقبل في بعض مساحاتها التطور والتنوع والتغير والتبدل. الشريعة ثابتة في أصولها ولكن في تفاصيلها تقبل ذلك وأكثر منه. لا يميزون بين الفقه وبين الشريعة. ما ظهر الفقه أصلاً إلا لأن الشريعة تحتوي على مساحات تقبل التطوير والتحسين والاجتهاد وغير ذلك. لو كانت الشريعة كلها ثابتة لما ظهر الفقه إذن. هل نعدم المذاهب الفقهية والكلامية والأصولية والمقاصدية وغيرها. نعدم كل ذلك لأن السلفية لا تقبل التعدد.



لا يميز السلفيون بين الفقه وبين الشريعة. ما ظهر الفقه أصلاً إلا لأن الشريعة تحتوي على مساحات تقبل التطوير والتحسين والاجتهاد وغير ذلك. لو كانت الشريعة كلها ثابتة لما ظهر الفقه إذن.



خلاصات عامة مركزة



السلفية بصفة عامة هي منهج تفكيري يقتضي بالضرورة منهاجا تغييريا يكون في بعض الأحيان عند أهله واضحا جليا بحيث يستخدم جملة وتفصيلا أو جزئيا كما يكون جامعا أو جزئيا ولكن على غير بصيرة ولا وعي ولا حكمة.



1 - السلفية بصفة عامة هي منهج تفكيري يقتضي بالضرورة منهاجا تغييريا. يكون ذلك المنهج التفكيري في بعض الأحيان عند أهله واضحا جليا بحيث يستخدم جملة وتفصيلا ولعل ذلك يكون أجلى عند بعض الفرق الإسرائيلية كما مر بنا آنفا أو عند بعض الفرق الخوارجية كذلك سيما المتطرفة منها والمغالية المتشددة جدا. كما يكون في بعض الأحيان ذلك المنهج التفكيري جزئيا كما مر بنا عند تجربة ابن حزم أو ابن حنبل أو ابن عبد الوهاب أو غيرهم. كما يكون ذلك المنهج عند بعضهم - سيما الأتباع الذين عادة ما يعولون على التقليد الأعمى والتعصب المذهبي أو الفكري البغيض لفرط الجهل أو لفرط الغرور أو لفرطهما معا - جامعا أو جزئيا ولكن على غير بصيرة ولا وعي ولا حكمة. وشَرّ المتعلمين من لا يعلم ولا يعلم أنه لا يعلم.

2 - الأصل الأصل للسلفية بصفة عامة هي شعور بالتأثم والتحرّج والتقصير إمّا لأسباب فردية أو لأسباب جماعية. ذلك هو المكون الشعوري الأصلي الدافع إلى نشوء السلفية. الشعور في أصله ليس خاطئا بل عندما يتعدّل يكون شعورا إسلاميا صحيحا ولكن المشكلة دوما في المعالجات إذ عندما تبدأ المعالجة تعرف قيمة المعالج فإن هو اتّجه إلى الفعل يعالجه غافلا عن قصد عن الفاعل فإنّ معالجته تثمر في الأعم الأغلب شيئا إيجابيا وإن هو اتّجه إلى الفاعل - وهو شأن السلفيين اليوم في الأعم الأغلب - فإنّه

قد ضلّ طريق الفهم وضلّ طريق الإصلاح.

3 - السّلفيّة عادة ما تتغذّى من مغذيات داخلية وأخرى خارجيّة. فأما المغذيات الدّاخلية فهي ما عبّرت عنه الفقرة أنفة الذّكر أو فرط الشّعور الدّخلي بالتأثّم والتّحرج والتّقصير وميلان الأُمّة عن الحقّ بحسب ما يتراءى لهم. أمّا المغذيات الخارجيّة فهي معالجة أعداء الأُمّة للأُمّة عندما تكون في حالة مرض أو وهن أو انقسام وتجزئة. المواطن التي تتغذّى منها السّلفيّة اليوم كثيرة أبرزها الاحتلال الصهيوني لفلسطين والوضع العراقي والأفغاني وواقع التّجزئة والقهر في الأُمّة. ليس صحيحاً أنّ علاج المغذيات الخارجيّة يمكن أن يطامن من جنوح السّلفيّة إلى الإطلاق في التّكفير بالجملة أو في التّفجير بالجملة ذلك أنّ دراسة المكوّن الفكري الأصل للسّلفيّة هو المعوّل عليه. قد تندمل تلك الجروح وتظّل الجروح الدّاخلية المسؤولة عن نشوء السّلفيّة منكبة تنزف. لذلك يظلّ علاج تلك الجراحات الفكرية الدّاخلية المنكيّة هو الأصل من طريق الحوار العلمي الهادئ العميق.

4 - السّلفيّة بصفة عامّة لا يمكن جحдан أصلها ولا حتّى كسبها وذلك بسبب أنّها مكوّن أساسي وضروري من مكونات الأُمّة صاحبها منذ النّشأة الأولى وستظلّ تصاحبها ولذلك لا يفيد الضّيق بها ولكن يفيد إنتاج العدول الذين يتولّون تعديل مسيرتها والتّخفيف من غلوائها وغير ذلك. وهي كذلك مجدية لمواجهة التّطرف العالمانى والغلواء المادّية الوافدة وإن كان رصيد هذه في تراجع منذ عقود وسنوات طويلات. بذلك المنظر فإنّ السّلفيّة لا تجحد ولا يجحد كسبها ولا أثرها. هي مكوّن لا بدّ منه وهي في مقابل الغلواء المادّي من جهة أخرى.

5 - السّلفيّة بصفة عامّة تتميز بالجمود الفكري والجمود النّمطي على الماضي. من لا يسأل يجمد بالطّبيعة ومن ينظر بعين واحدة يجمد بالضرورة. من مظاهر جمودهم أنّهم يجمدون على الحديث ويحكمون به على القرآن والقرآن حاكم أبداً طرّاً مطلقاً لا محكوم وهو متبوع لا تابع. تلك آفة من أكبر آفاتهم الفكرية التي تؤدي بهم. الجمود إذن هي أغلب



السّلفيّة عادة ما تتغذّى من فرط الشّعور الدّخلي بالتأثّم والتّحرج والتّقصير وميلان الأُمّة عن الحقّ بحسب ما يتراءى لأصحابها. كما تتغذّى من معالجة أعداء الأُمّة للأُمّة عندما تكون في حالة مرض أو وهن أو انقسام وتجزئة



سماتهم الفكرية التي يمكن لها أن تستوعب ما أنف ذكره من مكونات فكرية ومركبات وقوانين. الجمود هو الذي يفضي إلى الغلو والتّحريف كما أخبرنا الصادق المصدوق عنهم عليه الصّلاة والسّلام. ذلك أنّ الجمود نقيض الحركة والحركة سنّة الحياة والكون والخلق والاجتماع. الحركة من أكبر السنن حتّى قال فيها سبحانه في آية عجيبة تحتاج إلى فقه يقعد دونه السّلفيون في أغلبهم: «كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ». فإذا كان الجمود نقيض الحركة التي هي ناموس الكون فإنّ الجمود يفضي إلى الغلو والتّحريف عندما يتعلّق الأمر بالدين ويفضي إلى التّكفير والتّفجير عندما يتعلّق الأمر بالحياة والنّاس والمرافق.



يتميز السلفيون بصفة عامة بالجمود الفكري والجمود النمطي على الماضي. ومن مظاهر جمودهم أنهم يجمدون على الحديث ويحكمون به على القرآن والقرآن حاكم أبدا طرا مطلقا لا محكوم وهو متبوع لا تابع.



6 - من بعد ذلك كلّه فإنّ خير منهاج تعالج به السّلفية هو منهاج مركّب : منهاج نظري علمي أصله أصول الفقه ومقاصد الشّريعة وعلم المقامات التي بقي هو الآخر يتيما حتّى عند أصحابه من أهل الوسطية الإسلامية المتوازنة المعتدلة فما بالك بمن لا يؤمن به أصلا أو لا يدرك منه شيئا. ذلك المنهاج النظري أصله القرآن الكريم عند التدبر والفهم والفقه في مساحات السنن والفطرة البشريّة وطريقته في التشريع والقصة والتّمثيل وغير ذلك. وكذا الحديث والسيرة والسيرة الرّاشدة. ومنهاج عملي هو دفعهم إلى ملامسة الواقع من خلال أحزاب سياسيّة تشارك في الحكم لتعرف معنى المعاناة وتضطر إلى التّعامل مع الإسلام من موقع الفعل الواقعي وحلّ المشاكل التي تهدّد النّاس وعندها فحسب يدركون معنى الإسلام ومعنى واقعيته ومعنى الاجتهاد. وخير من يتعلّم منه السّلفيون وغيرهم هو الفاروق عمر الذي لا يدرس سيرته السياسيّة رجل إلا قال في خاتمة الدّراسة : هذا رجل مارق من الإسلام عدوّ له من الدّاخل والدّلّيل أنّه يعمد إلى القرآن الكريم ليبدل أصله في تخميس الغنائم وحصّة المؤلّفة قلوبهم أو في قضايا أخرى إجتهد فيها من مثل صلاة التّراويح والتّأريخ الهجري

وقضيّة الجزية لنصارى تغلب وغير ذلك ممّا لا نريد منه الآن هنا بسطا. وإمّا أن يقول الدّارس لسيرة الفاروق هذا هو العقل الإسلاميّ الأرشد الذي يجمع بين الحكم وبين مقصده وعلّته وبين مآله ومحله، فكّلما تخلّف جزء واحد من ذلك تخلّف التّنزيل بالضرورة. ذلك هو الذي فعله في حدّ السّرقة مثلا. لا ريب عندي في أنّ من يدرس سيرة الفاروق وهو يعي ما يقول ويعي ما يفعل ويعي ما يدرس فإنّه أئله إلى الكفر به وعده منحرفا خطيرا أو إلى متشبع بالفقه الإسلاميّ الأصيل. ذاك منهاجان لا بدّ منهما إلى جانب الحوار الهادئ العلميّ الدّقيق والرّصين والعميق .. لا بدّ منهما حتى تقترب السّلفيّة المعاصرة من الدّائرة الوسطى لهذا الدّين دعوة ومن قبل ذلك علما و فقها ومعالجة.



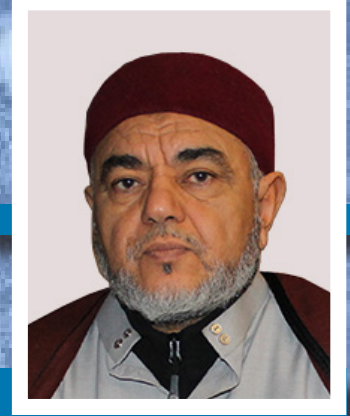
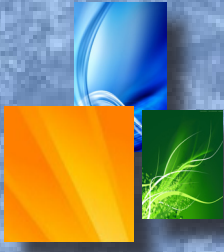
السلفيّة الجهاديّة
- والجهاد منها براء
براءة الذّنب من
دم ابن يعقوب -
تلك سلفيّة حقها
المقاومة لأنّها
تهدّد النّاس في
أعراضهم وأنفسهم
وكراماتهم
وحريّاتهم
وأملاتهم
وذاك في الإسلام
حق مقدّس رتب
عليه سبحانه حدّ
الحرابة وهي أقسى
حد في الإسلام.



7 - وفي كل الأحوال فإنّ العلاقة مع السّلفيّة علاقتان : علاقة ثقافيّة قوامها أنّ السّلفيّة من أهل الدّار وتحت السّقف في الجملة والعموم والاختلاف معهم اختلاف مقدّر والحوار معهم واجب وفريضة عندما يكون بأسلوبه المعنوي والمادّي، وفي كل الأحوال فإنّ السّلفيّة مهما شطحت هي بنت الدّار بخلاف العالمانيّة حتّى المعتدلة الجزئيّة منها. تلك هي العلاقة الثقافيّة معهم، أمّا العلاقة السّياسيّة فهي علاقة تعاون وتجاور وتحالف في الأصل لخدمة الدّعوة الإسلاميّة المعاصرة مع تواصل الحوار الهادئ العلميّ بأصوله الأدبيّة والفنيّة إلّا سلفيّة واحدة هي السّلفيّة الجهاديّة - والجهاد منها براء براءة الذّنب من دم ابن يعقوب - تلك سلفيّة حقها المقاومة لأنّها تهدّد النّاس في أعراضهم وأنفسهم وكراماتهم وحريّاتهم وأملاتهم وذاك في الإسلام حق مقدّس رتب عليه سبحانه حدّ الحرابة وهي أقسى حدّ في الإسلام. مقاومتهم لا بدّ منها إلّا إذا فاؤوا بالحوار ليكونوا مسلمين ولهم حقّ الوجود والتّعبير والتنّظم والتّحزب والتّأثير بمثل ما يفعل السّلفيون الآخرون.

والله أعلم.





المؤلف

* كاتب وسياسي تونسي من مواليد 6 جوان 1955 بمدينة بمدنين ، متزوج وأب لستّة من الولد ولعشرة من الحفدة.

من مؤسّسي الحركة الإسلاميّة وانخرط فيها سنة 1976، تحمّل مسؤوليات قياديّة كثيرة منها عضويّة مجلس الشورى من 1994 حتى اليوم ومنها عضويّة المكتب التنفيذي ومنها الكتابة العامّة الجهوية وغيرها... سجن بسبب ذلك عام 1987 وحكم عليه بخمسة عشر عاما سجنا نافذا وبزهاء عشرين عاما غيابيا أعوام 1992 و 2010. أقام لاجئا سياسيا في ألمانيا لمدة تزيد عن عشرين عاما، اشتغل خطيب جمعة وإمام خمس وداعية وكاتبا، مؤلف لعدد من البحوث والدراسات محبوسة بسبب العجز عن طبعها ونشرها.

* عضو الأمانة العامّة للتّجمع الأوروبي للأئمة والمرشدين وعضو مؤسس بهذا الهيكل الدعوي الأوروبي وعضو بهيئة الدّعاة والعلماء في ألمانيا وعضو مؤسس بها كذلك وعضو مؤسس بجمعية مرحمة للإغاثة بتونس وألمانيا 2015.

* متحصّل على شهادة التّقنية الإقتصادية للتّصرف دورة 1974، اشتغل متصرّف مساعد في عدد من الشّركات الوطنيّة من مثل الشّركة التونسية للكهرباء والغاز والشّركة الإيطالية التونسية للإستغلال النفط .

* له العديد من المقالات الصادرة بمجلة الإصلاح .

* البريد الإلكتروني : brikhedi@yahoo.de

الكتاب
الإصلاح

الكتاب الخامس - أوت 2015